حكايات من داخل

القلعة وأسوارها



سالم سالم شلابي

محمد ابو يوسف الكويتي

حكايات من داخل

القلعة وأسوارها

سالم سالم شلابي

عيسى يوسف اللويشي

حكايات من داخل

القلعة وأسوارها

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

حكايات من داخل القلعة وأسوارها

سالم سالم شلابي

الطبعة الأولى: 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2020/344

رقم الإيداع الدولي: 978-9959-921-64-2

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com



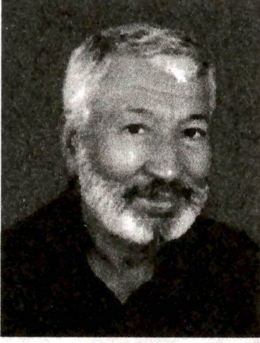
الاهداء

أهدي هذا الكتاب
إلى روح المرحوم الدكتور
حسين فؤاد الكعبازي
عرفانا لما بذله نحوي من جهد موفور
للرفع من مستوى الكتابة في التاريخ

سالم سالم شلابي



المحتويـــات



المقدمة

قد يجد الانسان، نفسه يعيش أحياناً مع أحلامه الخيالية ،وهو بعين مبصرة ،وذلك إلى أبعد حدود الخيال ،وهو لا يقرأ من فصول التاريخ سطراً، وكأنما صار زمن هذا الفصل رواية ،تولد له أحداثها من جديد، ليجد بين ثنايا أوراقها المبعثرة ،ما خطه الماضي من أحرف،وما رسمته له ريشة فنان من ظلال وأحلام وردية ،نقشت على أعتاب تاريخها الطويل، من قصص وحكايات ،كانت لا تخرج عن كونها إرثاً ثقافياً ،يتم تسجيله ضمن مراحل تاريخية مختلفة من عمرها الزمني، ذلك أنها كانت تكوّن لنا في آخر المطاف معلومات ،هي في غاية من الأهمية بمكان، أن تخرج في شكل قراءات، يمكن أن يركن إليها ،أو لأن يتيقّن بالأخذ بأسباب صحتها .

ونظراً لما حوته عدد من المصادر التاريخية ،من مراجع سبق أن تناولت العديد من المعلومات التاريخية، كما في كتاب " التذكار " لابن غلبون، وكتاب " نفحات النسرين" و" المنهل العذب " لأحمد التائب

الانصاري العسوسي، و" طرابلس من سنة 1510 ـ 1850 م لكستانزيو برنيا، وكتاب " طرابلس الغرب تحت أسرة القره مانلي " لرودلفو ميكاكي، وكتاب " ليبيا منذ الفتح العربي " لأتوري روسي، وكتاب " الحوليات الليبية " لشارل فيرو .

وفي هذا الكتاب، وضعت جملة من العناوين التاريخية ،التي صرت أسيراً لها، بكل ما كانت تحمله هذه الكلمة من معنى ،وأثر حسي ومعنوي، أحملها تارة على كفي، وفي أخرى تحت معطفي، فكانت اليد المبتورة ،والرسالة الطائشة ،والتفاحة المسمومة ،ورأس الغول، وثروة الصناديق الذهبية، وفي آخر المشوار يركب صفرداي الحمار . كلها كانت عناوين ،تعبر عن مواضيع، تحتاج إلى من ينفض عنها الغبار، كي ترى ما فيها من أسرار.

الفتـوة

الزمن : فترة الاحتلال الإيطالي

المكان : كوشة الفلاح / باب الحرية ينتقد



اعتادت بعض الأحياء التي كانت موجودة بأنحاء متفرقة من مدينة طرابلس الغرب، وضواحيها، على أن تجد بينها ظاهرة الفتوة أو (القباضي) أثناء فترة الاحتلال الإيطالي، وما عقب هذه الحقبة، أثناء فترة الانتداب البريطاني، وقد جاءت هذه الظاهرة، من منطلق يكون فيه البقاء للأقوى، وأن الحق يؤخذ ولا يعطى، وأن الشخصية الوحيدة، التي تستطيع أن تقف خلف المتناقضات، هي الفتوة .. التي تكمن في أيديها وأبدانها، القوة والغطرسة وقد بالغت القصص المروية، في تصوير شخصياتها الاسطورية، في إطار من الوصف، الذي يشمل جوانب متعددة من سلوكياته وتركيبته السيكولوجية، حيث دأبت على أن تصور فيه، النظرات الحادة بالعنفوان المبالغ فيه تارة، فهذه شواربه المعكوفة إلى الأمام، تعطيه مزيداً من الكبرياء والقسوة، وذقنه المرسل، يجعله عنوان للشهامة والشموخ، وأن حواجبه الغليظة، هي شأن الأصالة والمجد، وأن شعر رأسه المنسدل إلى شحمة الأذنين، هو كمال النضوج والحكمة، علاوة على ما يظهر على ذراعيه من الوشم المعروف لدى العامة « زندي مور « ليجعله أكثر بأسا .

ولعل ما يرتبط بهذه الشخصية، شكل لباسه، الذي يتكون من حزام (الزلبندي) المنسوج من الحرير الطبيعي، الذي يشد طوقه ،والشملة الحمراء التي تحزم بها، وقشطته القطنية،

ذات الألوان، بين الحمراء والزرقاء، وارتدائه لكاط أبو ثلاثين، والطاقية الحرة، علاوة على القطع الجلدية المرصعة بالعدسات المذهبة، الخاصة بالمعصمين، التي ما برح يظهر بها أثناء استعراض القوة، ولكن هذه القوة، كانت في نفس الوقت، نقيضاً لجمال ودعة، مشموم فل وياسمين المنشية، الذي كان يرتشق به على صدفة أذنيه .

وعلى مقربة من ركابه كوشة الفلاح، التي بازاء سور المدينة الشمالي، عند برج الكرمة، وتربة الزاوية الكبيرة، يقع ملتقى التنافس بين السواعد المفتولة، والقوائم العملاقة لفتيان المدينة، وشبان الضاحية، من أمثال «قبقب» البارع في استعماله للسكين، المسماة «بالكمية» وأيضاً (الصغير الحامي) البارع في استعماله (للحجّامية) أو (الحجّامة) المستخدمة في استحلاب اشجار النخيل، ثم (الجمّالي) صاحب القوة الخارقة، في ذراعيه... التي يقبض بها على خصمه، فيخر صريعاً تحت رحمته، و(جلوّل) صاحب اللكمة القوية الخاطفة، التي تكمن في قبضته اليمنى، وقد كتب عليها (بالوشم) ممنوع (البونية)، (وليليش) قبضاي منطقة النوفليين والهاني ووو ... الكثيرون، وقد سادت هذه الظاهرة المناطق الأخرى المجاورة للمدينة، حتى كاد أن يكون لكل حي، من هذه الحواري (قبضاي) يتخذونه رمزاً لهم، وفي يوم من أيام الصيف المحرقة، تلتقي هذه الفتوات، وقد تأجج بين غريمين منهما، لهيب الصراع المأساوي، دونما أي محاولة تدخل، لرجال الدرك أو الأمن ،لأنهم بطبيعة الحال، خارجين عن القانون .

وقد أثمرت مساعي، أباليس الانس والجان، في إحماء وطيس المعركة حول هلاك (قبقب)، بضغطة واحدة، من ذراع (الجمالي) القبضاي، فأرداه بين يديه قتيلا، وقد هب إلى عين المكان، جمع غفير من الناس، وهم لا يستطيعون تصديق هذا الحدث ،أو حتى صحة خبر، موت (قبقب) وبسرعة شاع الخبر ،بين ألسنة الناس ،وبعد قدر من الزمن ،جاء خبر موت (الجمّالي)، وقد حلقت على أثرها في سماء مدينة طرابلس الغرب، كلمات هذا المثل الشعبي، الذي يقول :

برّه يالوّل جاك الثاني
مات قبقب ولحقه الجمّالي

بالاص الغولة

الزمن : فترة الاحتلال الإيطالي

المكان : زاوية الدهماني. المطمر

لم يكن حجم قرية كبيرة، مثل زاوية الدهماني، بأن تظل بنفس الحجم، التي كانت عليه هذه المنطقة، في أعقاب حقبة الاحتلال الإيطالي، يوم أن كانت تشقها القليل من الطرقات



الضيقة، التي تعبرها العجلات المجرورة، المتكونة من (الكرتون والشريول والكاليس)، فيما ترى في هذه الطريق أيضاً عربة (الكرك) ،وهي عربة بعجلتين، يجرها أحد الأشخاص، على كتفه بحبل، كانت منطقة (المطمّر)، وما حولها من المناطق، التي توجد بها بساتين زاوية الدهماني، وهي جاهزة لنقل ما تحتاجه المدينة، من خضار، عبر طريقها الممتد على الساحل، مروراً من موضع ضريح سيدي الشعاب، وسيدي الزيات، بالقرب من موضع رملة الزقرار، عند الهضبة

المنبسطة، من مرتفع الظهرة الصغيرة (صاليتة البيرا أويا) سابقاً، كانت منطقة زاوية الدهماني، تعيش وقتها حياة القرية البسيطة، باطلالة مبانيها الصغيرة، وبساتينها التي تظهر منها أحياناً أنواع الأشجار المثمرة، النائمة على أطراف سانية حريّشة، وسانية قرواش والفواتير وعائلة بن الفقيه، وبينما كان الأمر كذلك، إلى أن فاجأت هذه القرية، مستوطن إيطالي، يقوم بتشييده لمبنى، أظهر فيه شكل (البالاص) المرتفع على مباني القرية، ذات الطابق الواحد، حيث ضاعف في حجمه وتعدد طوابقه، فجعله يتكون من دورين، تظهر من واجهته المرتفعة، فتحات النوافذ المستطيلة، التي لم تعهدها العمارة المحلية، وهي أبواب (البرسيانة) الخشبية، ولكن هذا المستوطن لم يعمر به طويلاً، بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، إذ حالت هذه الحرب دون بقاءه، وبقى هذا المبنى مهجوراً، لم يتجرا أن يسكنه أحد، الى أن أصبح هذا المبنى، تحت حوزة أحد المواطنين أثناء فترة الانتداب البريطاني، وبحوزته لهذا المبنى، أصبح هذا المبنى به حركة، في فترات متقطعة، وبذلك أصبحت هذه الحركة تسمح بخطوات آدمي، بأن تدخله وتفتح به مصابيحه، خصوصاً أثناء الليل، وبهذا العمل ارتاب الناس، من حوله، وظنوا أن هذا، من أعمال الأشباح والأرواح الشريرة، التي سكنت بداخله، وأصبح ذلك سبباً في الاعتقاد، بظهور (الغولة) التي تصيب الذعر، لمن يريد أن يقيم في هذا المبنى، لسنين طويلة، حتى عرف بين الناس (ببلاص الغولة)، تم استعماله أثناء فترة الستينيات، من القرن الماضي، مقراً لمركز شرطة زاوية الدهماني، ولكنه أزيل تماماً، وأصبح محله حديقة عامة، بينما ظل اسم (مركز الغولة)، يطلق على المبنى المجاور، الذي أصبح البديل، الذي نقل إليه هذا المركز.

ومما يذكره أهالي منطقة زاوية الدهماني، أن هذا المبنى، عاش مع ذكرياتهم الجميلة، فقد آثر عرسان المنطقة، أن تقام فيه أفراحهم، وقد كانت حفلات (العراسة) بلياليها تسمر إلى ساعات متأخرة من الليل، ترسم صورة أخرى، غير التي بأذهان الآخرين.



كتب شارع الأكواش

الزمن : فترة الاحتلال الإيطالي

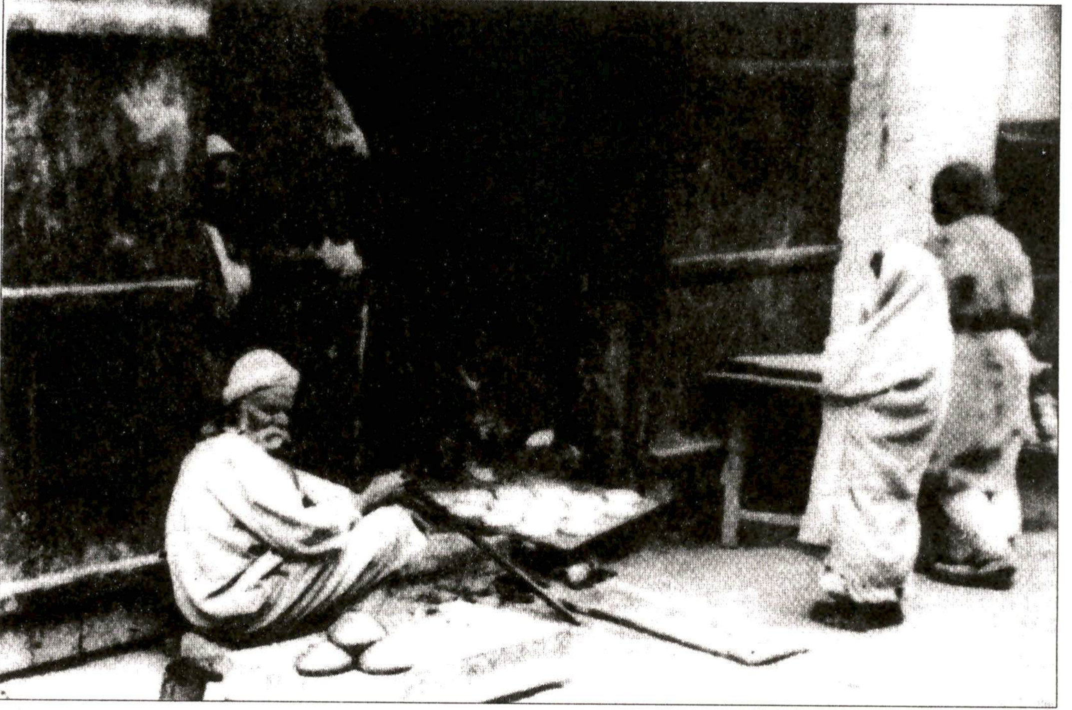
المكان : باب البحر

نموذج من الجهل، يتسلل ويصل في ذات يوم، إلى جذور العلم والثقافة، عن طريق، زوجة أحد علماء مدينة طرابلس الغرب وفقهائها المتميزين، كان يسكن هذه المدينة العتيقة، التي احتضنت بداخل أسوارها منذ القدم، ركائب العلماء وأصحاب الرحلات، بين المشرق العربي ومغربه، فكان مع ارتيادهم لمجالس العلم بها، جعلهم يلتقون بكبار مشائخها، ممن كانوا يملكون أنفس الذخائر، من أمهات الكتب، وأسفارها، ومجلداتها

العلمية، والثقافية، واللغوية، والأدبية، وشتى الكتب الدينية، المهتمة بأمور الفقه وغيرها، تقتنيها مكتباتهم المنزلية الخاصة، ومن بينها مكتبة مصطفى، الكاتب الخزجه المصري التي كانت في زمن مضى، نواة لمكتبة الأوقاف التاريخية، التي أسسها الاستاذ اسماعيل كمالي، على أنقاض مكتبات أخرى منزلية، أثناء فترة الاحتلال الإيطالي، عندما كان مديراً للأوقاف، ومكتبة أحمد النائب الأنصاري، ومكتبة العلامة الشيخ محمد كامل بن مصطفى بن محمود، ومكتبة إبن الاجذابي ومكتبة إبن غلبون وو... الخ .

وما كنا نريد أن نتحدث عنه، في هذا الإطار قصة كانت أحداثها، قد وقعت بداخل أحد أزقة المدينة القديمة، بمنطقة باب البحر، بالقرب من شارع الأكواش، في مكان يقبع في منتصف الطريق منه، يتمثل في مبنى عتيق ،يتكون من دورين، يوحي للناظر إليه من أول وهلة أنه يخص أحد وجهاء المدينة، أو علمائها، تفوح من نوافذه رائحة المجلدات والكتب والمخطوطات الموغلة في القدم، والتي كان أغلبها قد غلفت أسفارها بجلود (الفيلالي)، ومكتوبة خطوطها بحبر الصمغ الأسود، وبعض منها مكتوب بحبر الصبار الأحمر، وفي ركن من زاوية فناء هذا المنزل، توجد غرفة بها باب خشبي، (باب على أربع فردات)، لا يدخلها غير صاحبها العلامة الأزهري، الذي يرتدي العمة والقفطان، مع حزام الطوق الحريري، والشال المطروح على كتفيه، وكان لا يلبس هذا اللباس أحد من غير طلبة الأزهر، وهو تقليد للباس الفاطمي، وهذه الغرفة لا يكنسها، أو يقوم بتنظيفها أحد غيره، يمسح عنها الغبار بنفسه، ويصفف محتويات خزائنها بنفسه، حباً في المحافظة عليها، كان هذا العلامة، يمثل خيرة علماء عصره، أشفق الزمن عليه حتى لا تكون حياته، أشبه بشمعة تذوب وتحترق، من أجل أن ينتفع من علمه الآخرون، ولكن بموت هذا العلامة، توقفت عقارب ساعته، وانطفأت هذه الشمعة، وسرى الظلام، بأرجاء هذه الغرفة، وبقية أرجاء المنزل، وكان وقتها الحزن، قد انسدل بظلاله فغشي القلوب، وأقبل الأسى يملأ الأحداق، بالدموع المتساقطة والمتدفقة، فوق الخدود فهكذا تبلى أرفف وخزائن هذه الغرفة، ويهجرها صاحبها إلى الأبد.

ويمضي هذا الحال، زمناً من الدهر، ليس بالقصير، حتى جاء الوقت، الذي قامت فيه

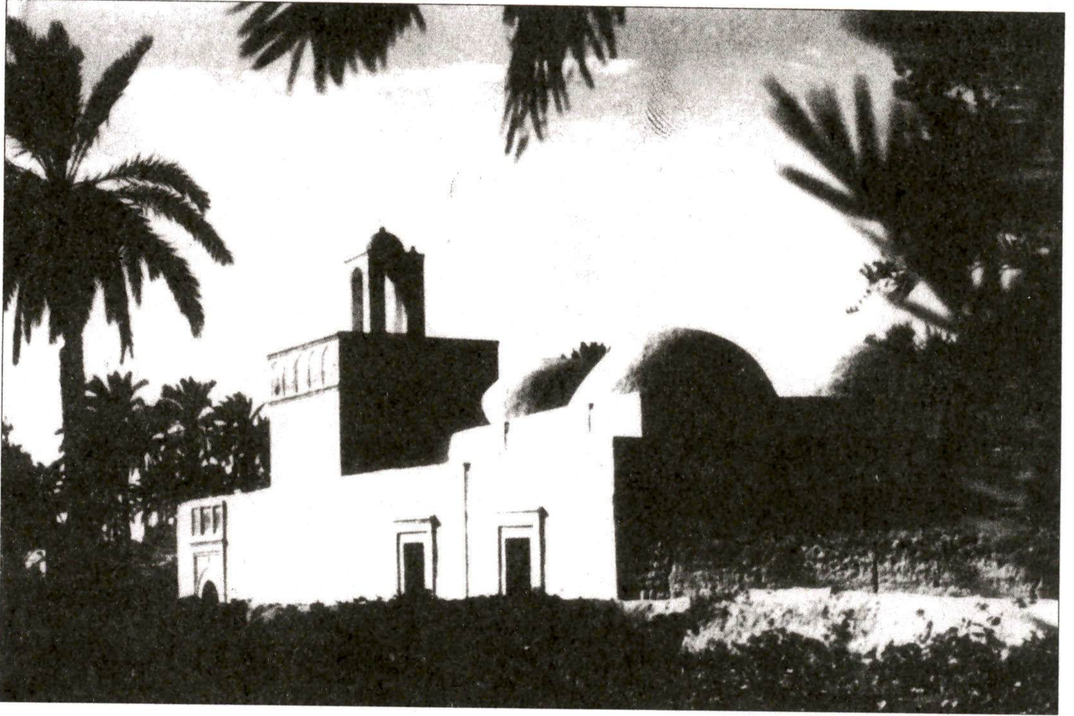


هذه الأرملة الساذجة، بتحويل هذه الغرفة، من مكان يحمل العلم، إلى مكان لاستقبال الضيوف، دونما فائدة تجنيها هذه الأرملة، من هذه الكتب المكدسة، وما كان عليها إلا أن تذهب خفية، باتجاه (**كوشة الرايس**) القريبة منها، والتي لا تبعد عنها بمسافة مشي خطوات، وهي أحد ستة أفران شعبية أو أكثر، تمتد بشارع الأكواش، الذي يقع بالقرب من قوس ماركوس واريليوس الروماني، بباب البحر، وطلبت منه، أي من رايس الكوشة، أن يتبعها إلى منزلها، ليجلب أكوام ما كانت تريد أن تعطيه من الكتب والمخطوطات، التي تكفي لاحماء كوشته، لعدد من الأيام، وتغنيه عن شراء القش ومواد الإحماء الأخرى، وبسرعة لاغتنام حاجته، قام الرايس بجلب (شكاير الخيش) لكي ينقل فيها، ما اكتنزه هذا العلامة من جواهر العلم، إلى بيت النار، لتأكلها والتخلص منها، سعياً لإحماء (الكوشة)، التي توفر له حاجته، وهكذا تخلص الجهل من العلم، وارتاح العلم من براثن الجهل .

يقول الله سبحانه وتعالى « فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون « صدق الله العظيم .







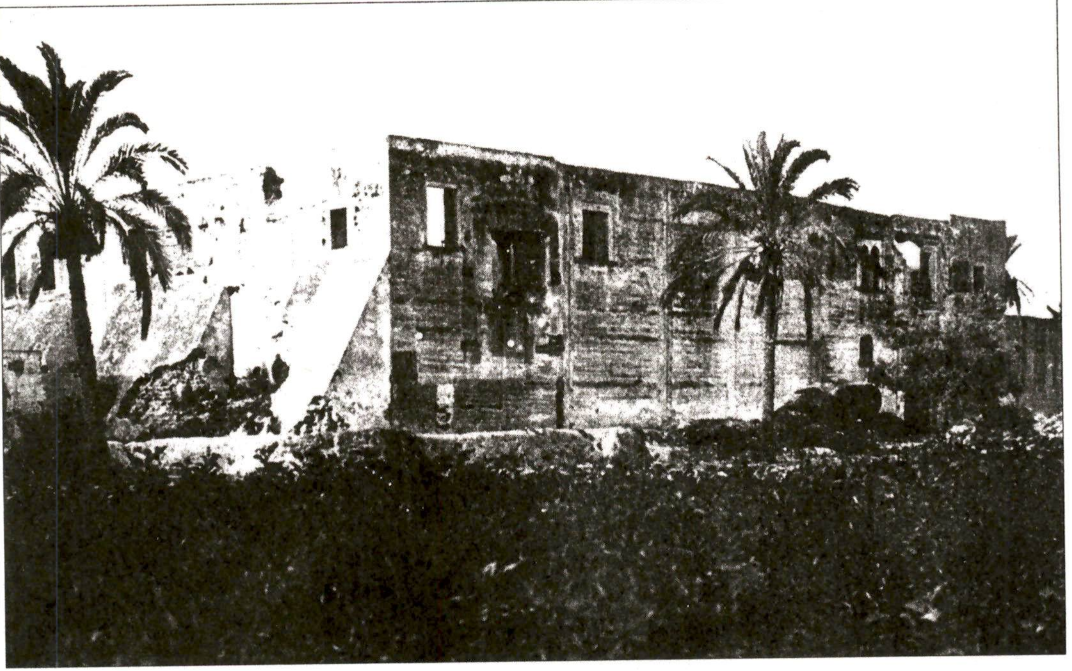
هنا حوش القبطان

الزمن : الفترة العثمانية الأولى

المكان زاوية الدهماني / جامع القبطان

على بعد مسافة خطوات قليلة، من الموقع الذي بنى فيه حسين القبطان جامعه بمنطقة المطمّر، سنة 1688م، بالقرب من قصره، الذي بناه ليحمل أحداثاً مهمة، وغير عادية، خلال حقبة هامة من تاريخ حكم العهد العثماني الأول، والعهد القرمانلي، نسجت أحداث الوليمة، التي أقامها أحمد القره مانلي للانكشارية .

بنى هذا العلج قصره، ليجعل به مكان سكناه أولاً، وثانياً ليضع بداخله السبايا التي اغتنمها من مختلف الدول الأجنبية، بواسطة الأسطول البحري، الذي كان يقوده أثناء فترة حكم إبراهيم داي التارزي، لطرابلس سنة 1687م ولكن هذا العلج قد أصبح بعد ذلك



يحتل منصب الوزير الأول، في بداية فترة حكم محمد باشا شائب العين، الذي ما لبث أن قتله هذا الباشا وتخلص منه بإعدامه شنقاً، أمام باب المنشية، الذي يقع بين يدي سوق المشير التاريخي .

كان حسين القبطان، علجاً من أصل إيطالي، من بلدة كالبريا، تم أسره في مدينة طرابلس الغرب، وعمل بها بعد تسريحه من الأسر واعتناقه الاسلام، قزداراً للأواني بسوق القزدارة .. وكان لبنائه هذا القصر والجامع معاً، بالغ الأثر في كونه يتمتع بشخصية قوية وفريدة من نوعها، وكان غريب الأطوار، ومتقلب المزاج، فكان قبل أن يكون صانعاً للأواني وقزداراً بها، يعمل على ظهر بعض القطع البحرية الإيطالية بحاراً، قبل أسره، ثم اختاره إبراهيم التارزي ليكون قائداً لإسطوله البحري، ثم جاء محمد شائب العين، فولاه رئيساً لوزرائه، كان يجمع بين قوى الخير والشر، وبين ظهوره، بين الناس بمظهر المسلم المتعبد المخلص لدينه الجديد، ولكنه من جهة أخرى، كان عاشقاً مغرماً بالنساء.

كان القصر الذي بناه، من المباني المعمارية الضخمة، التي تكتسب روعة وجمالاً،



بما أغدق عليه من نقوش وزخرفة، على مداخله وأقواسه المعقودة، فقد أخذ شكله من الناحية الفنية صنوفاً، من الفن المعماري لبنيان القلعة أو الحصن، حيث استخدم في تشييده طريقة (ضرب الباب) المعروفة في تلك الحقبة، وقد احتوى هذا البناء، السواند الانسيابية المقامة على جدران المبنى من الخارج، وتعرف هذه الدعامات (بالبغلة) .. ومما يحكى من القصص، التي جاءت على لسان الأهالي، من سكان زاوية الدهماني، أن هذا العلج، عندما كان يقوم وقتها بتشييد هذا القصر، يشرف بنفسه على أعمال البناء الجارية، وكان قد جلب إليه، أعداد كبيرة من العمالة المهرة، والبنائين المتخصصين في بناء(ضرب الباب)، وبينما كانت هذه العمالة، تأخذ في ارتفاع جدران هذا المبنى، إلى مستوى (البغلات) الانسيابية، كان يجلس حسين القبطان، كالمعتاد على مقعده الخشبي، يمسك بيده اليسرى قرباجاً من الجلد المبروم، وبيده اليمنى عصاته المعدة من عود الخيزران، وقد شد انتباهه صوت بائع متجول، يبيع مواد الوشق، والسواك، وما إلى ذلك من المواد العطرية ،على ظهر حماره الصحراوي، وكأنما كانت خطوات أقدامه، تشكل مع

مشي خطوات حماره، إيقاعاً يوافق إيقاع (الرزام) الذي يهوي به عمال (ضرب باب) على جدران المبنى، في تناغم مع ما يردده هذا البائع الذي يقول:

اضرب الفاني بالفاني

واضرب ضرب الزناني

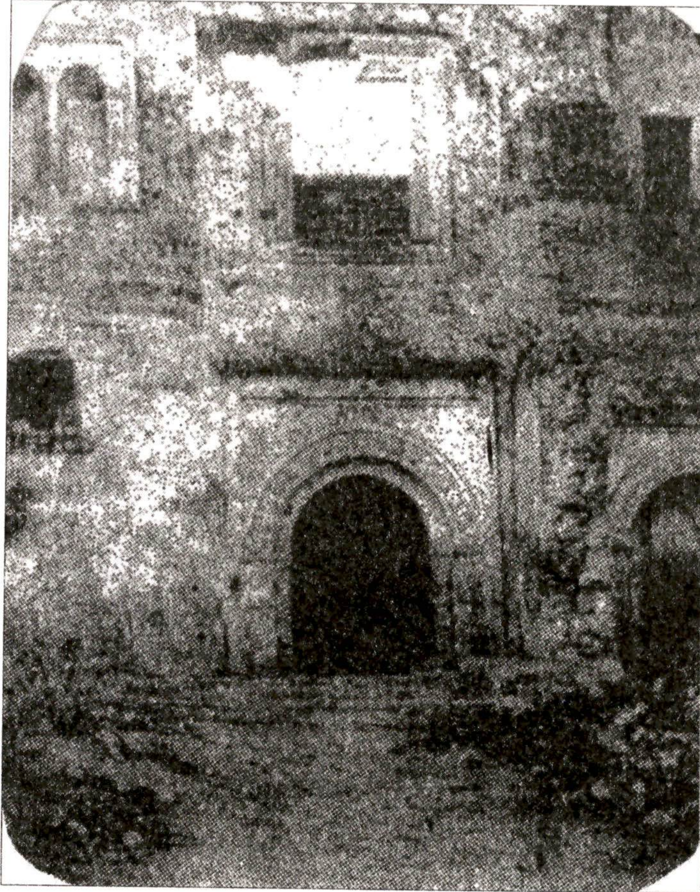
ولما علم حسين القبطان، بذكائه ما كان يعنيه هذا البائع، بلفظ (الزناني) أي الضرب الخفيف، (للرزام) المستخدم في دق البناء، اشتد غضب حسين القبطان، ونهض من مقعده الخشبي، واتجه إليه كالوحش الكاسر على فريسته، وانهال عليه ركلاً وضرباً بسوطه، ثم أشار إلى بعض حراسه، لكي يردم مع حماره، بداخل البغلة الساندة للبناء .

أزيل هذا القصر التاريخي، من الوجود، ولم يكن له من أثر، وأصبح مكانه حديقة عامة، تطل على نهاية شارع الجرابة، من ناحية المجمع الصحي، زاوية الدهماني .

وليمة بحوش المقتلة

الزمن : الفترة القره مانلية

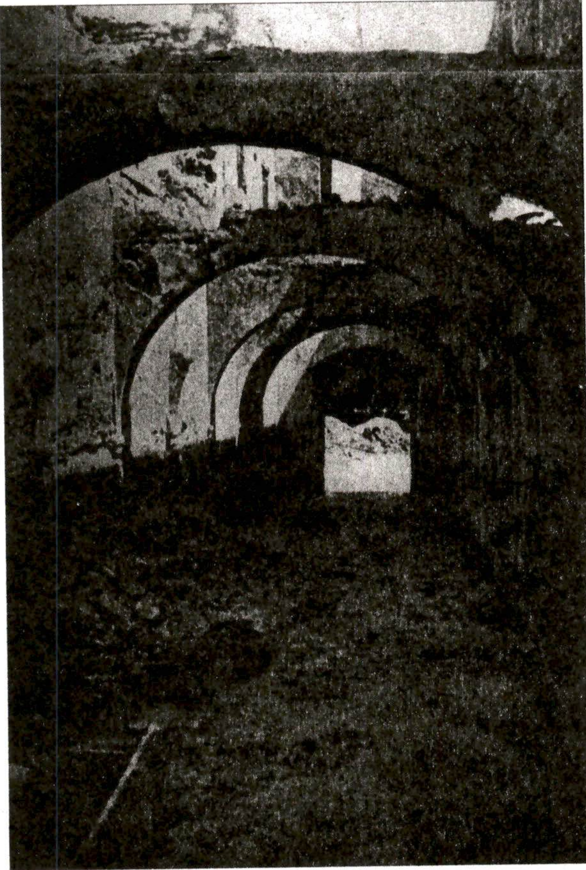
المكان : شارع جامع القبطان



(حوش القبطان) التاريخي، هو عبارة عن قصر فريد ومتميز، من قصور مدينة طرابلس الغرب، أثناء الفترة العثمانية الأولى، ولم يكن كذلك فحسب، بل كان من أضخم الكتل المعمارية السكنية، في ذلك الوقت، بما حواه من مساحة واسعة، على حساب بساتين منشية الشارع الكبير، وشارع زاوية الدهماني، كان هذا في سنة 1686م، وقد بناه حسين القبطان، لغرض سكناه، وسكن سباياه، ممن قد تم أسرهن، من مختلف الجنسيات الأوروبية، أثناء مرحلة الجهاد البحري، للأسطول الليبي، العامل في حوض البحر الأبيض المتوسط .

لقد رأى أحمد باشا القره مانلي، بعد مضي ربع قرن ونيف تقريباً، من عمر هذا

المبنى، أن يتخذه مكاناً مناسباً جداً، لإقامة وليمة المقتلة، التي سعى لإقامتها لكبار زعماء الانكشارية، الذين تحكمهم النزعة الشريرة، في علاقتهم بعضهم بالبعض الآخر، وكانت القسوة والعنف، هي علامة التعامل، بينما الخديعة دائماً، تكون ضرورية جداً للتغلب على هؤلاء، وكان على أحمد باشا القره مانلي، حتى يمكنه أن يحافظ على استمرارية حكمه ،على أثرتربعه، على سدة الحكم في سنة 1711م وهكذا كان أحمد باشا القره مانلي، سباقاً في اعداده لفكرة الوليمة الماكرة، كي يتخلص كلياً من خطر بقاء هذه الطائفة، بعد أن وجه لهم دعوات، قام بتسليمها (شواشه) بكل طاعة الخديم لسيده، وفي اليوم الموعود، أخذت مواكب المنخدعين، في صدق نية الباشا، تتوافد عليهقبيل ساعات الظهيرة، أمام بوابة مبنى (حوش القبطان)، إذ أنه لم يتخلف أحد منهم ،عدا من كتب الله له بطول العمر، بسبب وعكة صحية، أو نزلة معوية، أقعدته عن الحضور، كان هذا المبنى مناسباً إلى أبعد الحدود، في مواصفاته المعمارية، لإقامة هذه الوليمة أو المذبحة، فقد تميز بسقيفة طويلة، عند مدخله، يسندها عدد لا بأس به من الأقواس والعقود، قبل وصول الداخل إلى فنائه، لحضور موائد الوليمة، وعند مقدمة هذه السقيفة، يقف الباشا إلى جانب أريكة صغيرة، أعدت له بهذه المناسبة، لاستقبال أصحاب المشأمة.

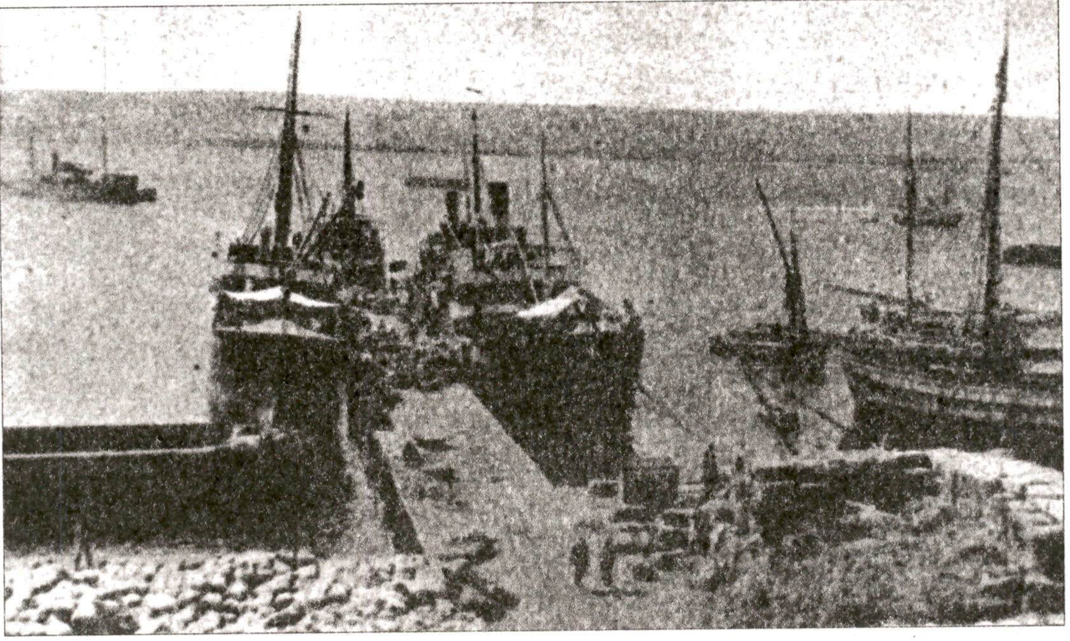


كان أولئك المغرر بهم، من بين الذين يمتطون صهوات جيادهم المسرجة، وآخرون من الذين جاءوا ركوباً ،على عربات(الكاليس) يصحبهم الحراس ،إلى غير الجهة التي بها (الكوري) باتجاه سرداب الموت، وهم لا يدرون، أن خطواتهم التي تتبعها رائحة مأدبة

الباشا، (وفي عقولهم) ملآنة، بما لذ وطاب، من أصناف المأكل والمشرب، تقود كل واحد منهم إلى الهلاك، وأن هذه الوليمة، ما هي إلا فخ .

هكذا نجحت خديعة أحمد باشا القره مانلي، التي دبرها للقضاء على الانكشارية، ومن خلال هذه القصة، ظهر المثل الشعبي، الذي يقول : «الطمع وقص الرقبة متحادين» حقق أحمد باشا القره مانلي، بعد قيامه بهذه المذبحة، استمرار حكمه، وحكم أولاده وأحفاده، من بعده من سنة 1711 ـ 1832م، أي 170 سنة، بنظام حكم وراثي، ينحصر في سلالته لولاية طرابلس الغرب .

والجدير بالذكر، أن السلطان محمد علي الكبير ،سلطان مصر ،قام على غرار هذه المذبحة، بمذبحة أخرى للمماليك ،عرفت في التاريخ بمذبحة القلعة، (بعد ذلك) بمائة سنة تقريباً .

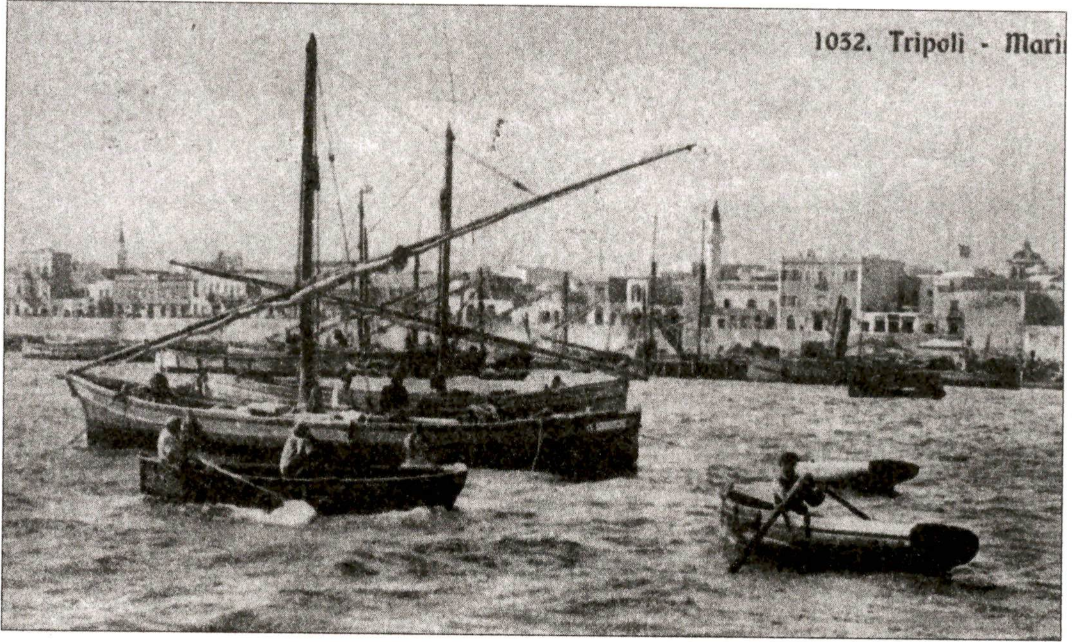


إرخي يا شط الهنشير

المكان : ساحل المنشية « الهنشير«

الزمان : الفترة القره مانلية

يشاء القدر، أن تكون شواطئ طرابلس الهادئة، وثغرها الباسم، مرمى لقنابل الأعداء، سواء من أساطيل الدويلات الإيطالية، من خلال حملات، قام بها أسطول نابولي سنة 1828م، وكذلك سردينيا، وجنوه، والبندقية، وتوسكانا، والاسطول الأمريكي المتنامي، في أعالي البحار، وكانت هذه الحملات، والمواجهات، في مجملها، تتسع ويتعاظم حجمها، كلما زادت حدة الحركة، لنشاط عمل البحرية الليبية، في حوض البحر الأبيض المتوسط، خصوصاً خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي، حتى اليوم الذي تمكنت فيه البحرية الليبية، من أسر البارجة الحربية الأمريكية الجديدة والضخمة (فيلادلفيا) التي تم انزالها، لأول مرة في التاريخ سنة 1805م، كانت قطع الأسطول الليبي، وقتها، يتكون من عدة مراكب تجارية، إلى جانب العديد من المراكب الحربية الصغيرة والمتوسطة، وهي مراكب



بها أشرعة سريعة الحركة، تساعد في وقت المعركة والمناورة على الكر والفر .. إلى جانب ما ركب بها من مجاديف، تشق بها غياب البحر، في غياب الرياح السافية، هذه المراكب، التي حملت أنواعها أسماء مختلفة، جاءت على لسان ذلك الوقت، بما يعرف، بالفلوكة، والفرقاطة، والبريك، والباركو، والبرقنتي، والقريبطة، والدغيسة، والسكونة، والشخطور، والشطية، والشقفة، والصكيوة، والصندل، والطرباقلو، والغليوطة، والمرتقاوة .

وكان يلقب الريان بهذه المراكب (برايس البحر) وهو بمثابة القبطان، الذي يرجع إليه تصريف كل الأمور، بداخلها، بينما يكون هذا الرايس أيضاً، الرجل الأول في قيادة الاسطول، أثناء التقدم للمعارك، ومن أبرز هؤلاء الرياس، عمر الشللي، الذي قام بقيادة الاسطول الليبي، المتوجه لاعانة الاسطول العثماني، في حربه مع اليونان، ويلقب (بالذئب الأسود)، ومراد بن عبدالله القبطان، الملقب (بالرجل الدموي)، ومحمد زريق، الملقب (بالرودسلي)، وهو الذي راوغ بطراده الصغير، الفرقاطة الأمريكية (فيلادلفيا)، بحيث أدخلها إلى رصيف شط الهنشير، الذي جنحت إليه، ومحمد السوسي، الذي أطلق أول قذيفة من طراده، على هذه الفرقاطة الأمريكية، قبل أسرها، وأحمد الطبيب، ومحمد أبوشاقور، وعلي القرقارشي، وحسن الشامي، ومحمد الداقيز، وابنه، ومحمد الزقوزي، وعلي القريو، وعلي الشيشكو، وامحمد بيت المال شلابي، وسليمان الازرق، وحسن

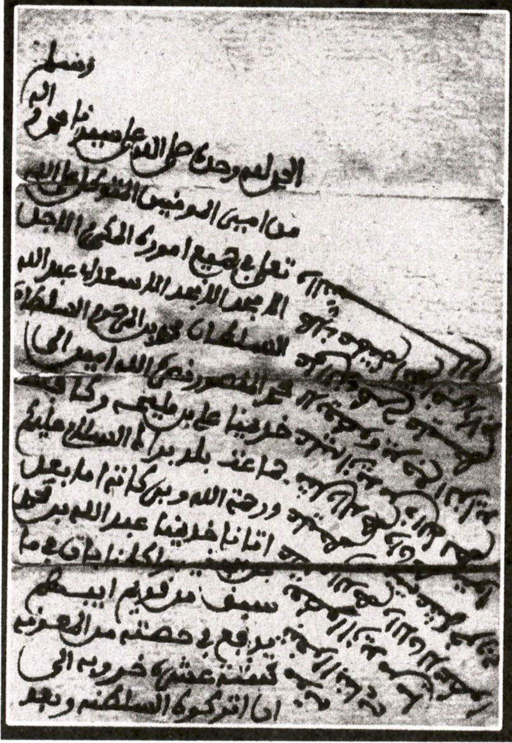
الكعامي، ومحمد النخلي، ومحمد بن سليمان، ورجب قراباج، واخرون لم يسع المجال لذكرهم جميعاً، ولعل كل ما كان يقال عن شكل وطباع هؤلاء الرياس، وعن البستهم المميزة، كانت تقليداً لقبضايات وفتوات المدينة .

وبينما كان الاسطول الليبي، في أحد الأيام، من زمن حكم يوسف باشا القره مانلي، مع وزيره محمد شلابي، الملقب (ببيت المال)، في مأمورية بعرض البحر المتوسط، بعيداً عن قواعده بالبلاد، كانت سواري بعض القطع الحربية المعادية وأشرعتها، تلوح في أفق السماء، قادمة نحو شطأن مرفأ المدينة، بكل غطرسة، في الوقت الذي كان فيه ثغر هذه المدينة، مكشوفاً لمرمى الأعداء دون حماية، وكانت هذه الفترة، من أهم الفترات، التي دأبت فيها أساطيل بعض الدول الأوروبية، على تهديد المدينة ومهاجمتها، بسبب فرض الجزيات، ودفع الأتاوات الباهظة، لخزينة الباشا، وفي هذه الحالة، لم يكن من بد، لردع هذه المواجهة إلا بواسطة القوة البحرية، وقد جمع **الباشا** اركان حكمه، وطلب منهم المشورة والرأي، وهنا سئمت الوجوه، والانظار، الحاضرة بإيوان الباشا المعقود، بغرفة القبو، بداخل منزله الخاص، وبالقرب منه جلس وزيره محمد بيت المال، الذي كان دائماً منقذه، في الأوقات الحرجة، وعلى وجهه علامات الاطمئنان، لخروجه بفكرة تخلصه من هذه المحنة، واستعداده في التدبر لأمر تنفيذها، وفي المقابل كانت علامات الرضا، بدأت تظهر على الباشا، مقرونة بزيادة الرفع من مكانته لديه .. وعلى الفور ينهض هذا الوزير الطموح، من مقعده والاتجاه إلى موقع الخطة، بمنطقة شط الهنشير، قبل أن يدركه المثل الشعبي بقوله :

« دير يا وزير .. وإلا راسك يطير»

أحضر الوزير قادة وأغوات المنشية والساحل، وطلب منهم القيام بتجميع قصاع العود، الموجودة لدي سكان الساحل والمنشية، ونقلها على ظهور الدواب والحمير، إلى منطقة شط الهنشير، فتأخذها (الفلايك) الصغيرة، إلى عرض البحر، لتبدأ أمواج هذا البحر في التقاف مئات قصاع العود، المحملة بقناديل الخرق المشبعة بمادة الزيت والملح، فبدأت هذه القناديل، مع عتمة الليل والظلام، المخيم على سطح ماء البحر، أن تظهر، وكأنما لو كان هذا البحر، قد امتلأت أعاليه، بأسطول البحرية الليبية، القادم نحو سواحلها، للالتحام بالاسطول المهاجم، وعلى الفور انقلبت معنويات العدو، واستكانت غطرسته، وولى الادبار، ذعراً وخوفاً، دون أن تحقق هذه الحملة هدفها .

الرسالة الطائشة



الزمن : الفترة العثمانية الأولى

المكان قلعة طرابلس

هناك في ركن قصي، من موقع الحصن الاسباني، بقلعة السراي الحمراء، وبمكان ديوان الرسائل، الذي يتبع لسلطة الداي الجديد، يلتئم مجلس الديوان، لمتابعة الأعمال اليومية، وتحرير الرسائل، والاطلاع على بعض المضبطات، التي يبعث بها عادة، رؤساء النواحي، من كبار ضباط الانكشارية، وطائفة (الكول أو غليه) .. كان الداي الجديد، محمود أبو مويس، الذي تسلم الحكم على حساب، الداي السابق، محمد بن الجن، في وقت لازمت فيه الاضطرابات أيامه، والفوضى كانت تعم زمنه، وكان العنف دائماً هو مصدر قلق لكل من يعتلي كرسي الحكم، فهؤلاء الاجلاف من ضباط الانكشارية، يكوّنون تهديداً لأمن واستقرار سلطة رأس الدولة، كان الداي الجديد محمود أبو مويس، مستعد لاتخاذ أي موقف، للمحافظة على كيانه وسلطته، فهو يحمل أبعد حدود القسوة والفطنة، وتنوع أسباب الخديعة وقد ظهر ذلك، على ما تبقى بوضوح على ملامح وجهه، المفعم بقدر كبير من الاحمرار، المكتسب من جانب أصله الانكشاري، ومن لونه المكتسب من جلدته المحلية، المتأثرة بالسمرة، لنعرض سطحها لاشعة الشمس، وبينما كان هذا الداي، يعتزم ما ينوي أن يقوم به، في الأيام القادمة، بداخل الديوان، الذي جعل مقعده فيه عند منتصف أركان سدة الحكم، يجلس ببدلته المزركشة، المفرسخة الاكمام، يتفقد ما يجري حوله من حركات، وسكنات رؤساء وضباط الانكشارية، الخطرين على حياته وسلطته .. وفي لحظة، برزت له صورة أحمد القره مانلي، التي فكر أنها ستخطف أبصار الناس إليه، بشكل ملفت للنظر، وهنا سارع هذا الداي للتخلص منه، في أول فرصة، بحيث لا يشكل



وجوده خطراً عليه، وهاجساً يقل راحته كل حين، وهنا نرى محمود أبو مويس، يكيد لغريمه أحمد القره مانللي فأوعز إلى كبير كتّاب ديوانه، باعداد رسالة سرية، إلى حاكم غريان، يأمره فيها بالقبض على حامل هذه الرسالة، حال الوصول إليه والخلاص عليه بقتله، وذهب أحمد القره مانلي بهذه الرسالة بعد أن تقرطست بداخل اسطوانة معدنية مقفلة، عابراً بها طريقاً وعرا، مليئاً بالاشواك والمتاعب التي منتظرا مصيره، بعد استلام هذه الرسالة، وعند وصوله إلى كاف الجبل، عند منطقة ورشفانة، حط رحاله ليجنح للراحة، حيث استضافه بعض أصحابه، من رجال ورشفانة، وبعد الفراغ من تناول وجبة الغداء، جاء وقت الحديث، عن مأموريته التي كلف بها، دون معرفة فحوى هذه الرسالة، وقد سدد له أحدهم نصيحته بفتح الرسالة والاطلاع عليها .. عسى أن لا تكون له سبباً في نهايته وقتله، وعلى الفور كان أحمد القره مانلي، يقوم بفك غطاء العلبة، وتناول فحوى الرسالة، حيث انكشف الغطاء، عن هذه الدسيسة، وأدبر أحمد القره مانلي راجعاً، من حيث أتى، مع لفيف من رجاله ومؤيديه، نحو قلعة طرابلس، للانتقام من صاحب هذه الرسالة الطائشة، ولكن بمجرد أن علم محمود أبو مويس، بما جرى من اكتشاف لفحوى هذه الرسالة، قبل وصولها، وأن أحمد القره مانلي، قادم إليه، حتى ذهب يعاتب نفسه، نادماً عن فعلته، فأخذ بحبل المشنقة، التي كان قد علقها بداخل أحد حجرات القلعة، وعلى أثر ذلك أصبح غريمه، أحمد القره مانلي باشا يعتلي كرسي طرابلس الغرب سنة 1711 م .

باب العدالة أم هو باب الغدر



المكان : المدينة القديمة

الزمن : الفترة العثمانية الثانية

تسعة أبواب، مشرعة على أسوار المدينة القديمة الخماسية، يطل بعضها على أخاديد وموانع مائية، بينما كان بعضها الآخر، محصناً بقلاع وابراج عالية، تحمي هذه المدينة من كل اعتداء عليها، وفي وقت السلم، كانت هذه الأبواب، مشرعة أمام المارين بها، من ركائب الرحالة والحجيج، القادمين إليها من جهة الغرب، إلى الشرق، وبالعكس، تتوارى الخطوات، وتترحل عبر مساراتها وساحات حواريها، وهم يتناولون في وصفها الأحاديث، ويكتبون عنها ما استمعوا إليه، من القصص المروية والاساطير، ومن هؤلاء الرحالة، من قال «كنت في وسط المدينة، أتجول وأتنقل، بين حاراتها، وحواريها، وأزقتها الضيقة، وكأنني أمشي، بداخل رقعة الشطرنج»، ناهيك عن أحد هؤلاء الرحالة، وهو يصف بياضها فيقول، «أنها تغشي الابصار» .

فبقيت هذه المدينة، للتاريخ شاهداً، وللدهر كانت حديقة، تروي جداولها، العديد من القصص، التي تناقلتها ألسن الناس، عبر مئات السنين والأعوام، ومن ذلك هذه القصة، التي تداولت تحت اسم (باب الغدر) وهو بإزاء زنقة الدباغ، القريب من برج (الكرمة) بسور المدينة الجنوبي، ورد اسم هذا الباب، في الخارطة التي أعدها (فهمي بي) سنة 1910م

(طوبوغرافياً) هو باب العدالة، أو كما يعرف باللغة التركية، «عدالت» حيث كان هذا الباب، يفضي إلى المحكمة العدلية التركية، التي كان مقرها قائماً، بحوش الجمل (بشارع كوشة الصفار)، ولكن اسم باب العدالة، قد تغير فيما بعد، وأصبح على السنة الناس، يعرف بباب الغدر، بسبب حادثة غريبة، حلت بسماء هذه المدينة، تمطر بدموع الألم، بسبب قصة ذلك الصبي البرئ، الذي امتدت إليه ألسنة نار الحسد، من أقرب الناس إليه، وهو جاره، الذي يريد أن يتخلص منه، بسبب تفوقه على ابنه في دراسته، ولكن أي جار هذا .. فهذا صاحب الطربوش المخروطي الأحمر، وربطة العنق الموضوعة على ياقة القميص الأبيض، التي تغشاه سترته السوداء، ذات الطرف الذي يجرجر أذيال الخيبة، وهو يركض بحذائه الاسود، نحو عمال الحفر، الساهرين أمام باب العدالة، ليطلب من أحدهم، أن يقبض على أول صبي، يأتي إليه في صباح الغد الباكر، وعلامته مترد فطائر «السفنز» الذي يحمله بين يديه، كي يدفن حياً، بداخل عمق الخندق، في مقابل مكافأة مالية بخسة، وهناك من يقول أن هذا المثل، ظهر بسببها :

ياحافر حفرة السو

رأسك مغلاقها

لقد تم إرسال هذا الصبي، فعلاً بالمترد المذكور، إلى عمال الحفر، ولكنما وهو في طريقه، التقى ببعض أقرانه يلعبون لعبة (البطش)، التي كان يلعبها، أطفال وصبيان أحياء هذه المدينة، توقف هذا الصبي، ليتابع الخاسر، بينهم في هذا الشوط، وهو ابن المقامر، وقد فقد كل ما عنده من حبات (البطش)، إلا بطشة واحده، طلب منه حامل المترد، أن يلعبها بدلاً منه، وأن يقوم هو بايصال المترد، وقد واصل هذا الصبي المغرور به، اللعب بينما ذهب الآخر، إلى مالقاه (سنمار) على يد الغدر، عند باب الغدر» .



وفي آخر المشوار يركب صفر داي الحمار

كانت مدينة طرابلس الغرب، أبان الاحتلال الأسباني، في سنة 1510م تحتضن قلعتين، الأولى منهما، ما يعرف بقصر الفلفول، وهي قلعة دفاعية متقدمة، تبعد عن برج أبو ليلة، بمسافة مئة متر تقريباً، ومكانها بالقرب من ثغر المرفأ .

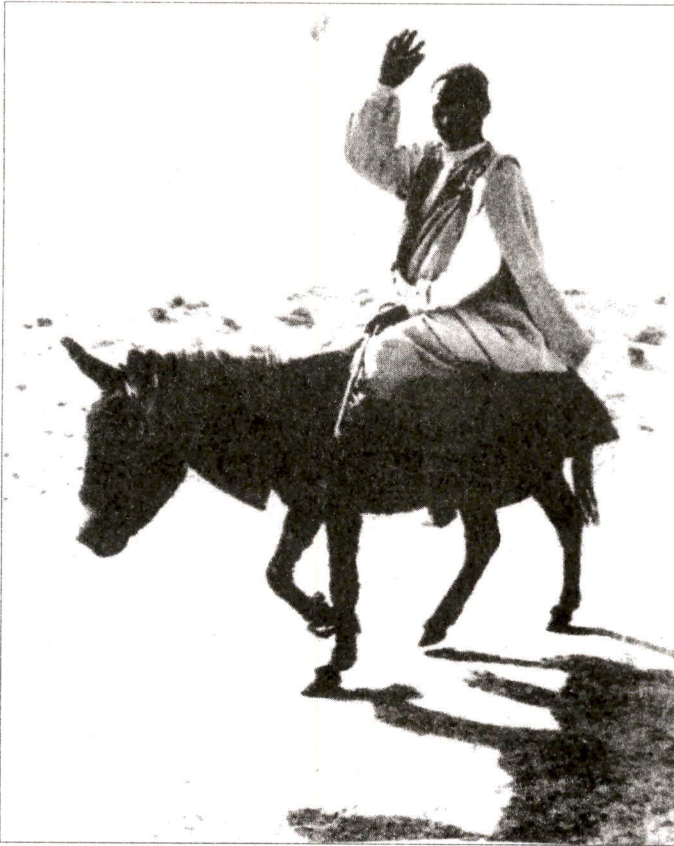
بنى هذه النصبة، فلفل ابن خزرون، وقد ابتلع البحر جزءاً كبيراً من معالم أطلالها، وقد شاهدها وهي مغمورة في غور البحر، (الشيخ المؤرخ الطاهر أحمد الزاوي)، وذكر ذلك في كتابه «معجم البلدان الليبية» .

أما قلعة طرابلس الثانية، فهي السراي الحمراء، التي أقامها الرومان على صخرة كبيرة، يلف بها البحر من كل جانب، أحدث بها الاسبان إضافات، أغلبها كانت بوسط القلعة، ومن هذه الإضافات، برج القديس جورج، الذي يعطي شكل رأس السفينة لهذه القلعة، وساحة القديسة بربارا، وبعدها برج القديس يعقوب، الذي يطل على الميناء والبحر، وفي العهد العثماني، كانت هذه القلعة حامية عسكرية، يقيم فيها ضباط الانكشارية، الذين كانوا بالدرجة الأولى، حماة لصاحب كرسي الحكم، من أي عدوان، يهدد الوضع القائم داخلي أو خارجي، كما كانت هذه القلعة، مقراً لسكنى الولاة، ومركزا لديوان الداي والوالي معاً، وكان الداي هو رئيس الديوان، ينتخبه جنود وضباط الانكشارية، كما هو الحال بالنسبة للوضع الذي صار عليه صفر داي بن باكير الذي انتخبه ضباط الانكشارية في سنة 1611م، داياً ورئيساً للديوان في آن واحد، أما الوالي، الذي يجلس إلى جانب الداي، فإن دوره كان استشارياً فقط، يعينه السلطان ليرفع إليه التقارير السنوية عن حالة ووضع البلاد، ولكن هذا الأخير، قد بقى دمية صغيرة، في يد صفر داي، بما أغدق عليه من أموال، على مدى أربع سنوات من فترة حكمه.

وهكذا أصبح صفر داي، طاغية يظلم الناس، ولا يرعى مصالحهم وحقوقهم، حتى ضاق أهل البلاد به ذرعاً، فكان ظلمه لهم، يعلو حجم ما قدمه من اصلاحات، التي كان من بينها، ازدهار الحركة التجارية، بينه وبين الاقاليم الداخلية، وقيامه بتجديد أسوار المدينة، وتجديده لبناء جامع الناقة سنة 1611م، وإنشائه لسجن سان ميكياي سنة 1613م لإيواء الأسرى .

وبالرغم من ذلك كله، كانت قسوة قلب هذا الطاغية العجوز، فاقت كل ما كان يتصور، في جوره، وفي ليلة من ليالي الخريف، تساقطت كل الأوراق، التي كان يحلم بها حضرة هذا الداي، الذي تجاوز حده في نهب لأموال الناس، وظلمه للمستضعفين، من أهالي طرابلس، حيث تظاهر أربعة من أبناء هذا البلد، بالسفر إلى أداء فريضة الحج، لايهام الطاغية، ولكنهم كانوا في حقيقة الأمر، قد قدموا في وفد إلى جناب السلطان العثماني باستانبول، لعله ينقذهم من بطش هذا الطاغية، فنقلوا إليه صورة واضحة عن حالة البلاد وظلمه، ولم ينته هذا اللقاء، حتى جنى هذا الوفد، ثمار ما أودعوه في حجر السلطان، فقد أصابته من هول ما حدثوه به، من سخط على هذا الطاغية، حتى أنه أمر بالقضاء

عليه فوراً، وذلك بإعدامه حال وصول مركب السلطان، المقلة لأمره، في شخص مبعوثه وممثله (الجوشان)، بعدما نال الوفد مبتغاه، توجهت هذه المركب، تمخر عباب البحر، تعلو سواريها الأشرعة المعاكسة، لشمس اليوم التالي، التي أبحرت فيه من ميناء استانبول إلى ثغر مدينة طرابلس الغرب، وفي لحظة رهيبة، بانت أعالي هذه السواري، لأعين السماء، ونجومها التي تراءت، في أعين الداي، الذي كان يرصدها، من أعلى برج في هذه القلعة، ليرى هدأتها بين أمواج البحر المتقلبة، وقد أبتل، من بعض رذاذها أطراف لحيته البيضاء، التي أخذ يمسحها بأطراف أصابعه، حيناً بعد حين، وهو يترقب معرفة الأسباب التي تكمن وراء هذه الزيارة المفاجئة، وما أن رست القطع البحرية، ورمت بحبالها على شاطئ المرسى، حتى صعد إليها صفر داي، لتقديم آيات الترحيب، وفروض الحفاوة، المناسبة لحضور مبعوث السلطان، ولكن ذلك قد انتهى فجأة بالقبض عليه، ومن تم تقييده بالاصفاد، أمام دهشة الناس، الذين اصطفوا يشاهدون كيف أصبح، وكيف انتهى إليه، مصير طاغيتهم العجوز، الذي اقتيد أمام أعين المظلومين، إلى منطقة باب البحر، حيث محلات الجزارة القريبة، من ساحة القوس الروماني، حينئذ أركبوه على ظهر حمار هزيل، وقد وضع بعنقه أعضاء معدة من الغنم، تحمل مصارين لها رائحة كريهة، تجره جموع الناس، المشاركة في التحقير به، بين شوارع



وأزقة المدينة، وعبر أسواقها المفتوحة، حتى وصل الركب إلى باب المنشية، وبالقرب من دار البارود، أنزل من ظهر الحمار، إلى حبل المشنقة التي أعدت له، حيث لقي مصيره المحتوم، وصار هذا الطاغيه، يتدلى منها، لمدة ثلاثة أيام، ثم وارى التراب بمقبرة المدينة (سيدي حمودة)، القريبة من قلعة السراي الحمراء، التي جلس بها، على سدة الحكم، مدة أربع سنوات متوالية، إلى سنة 1615م .



زوجات حضرة الباشا

الزمن : العهد القره مانلي

المكان : مدينة طرابلس

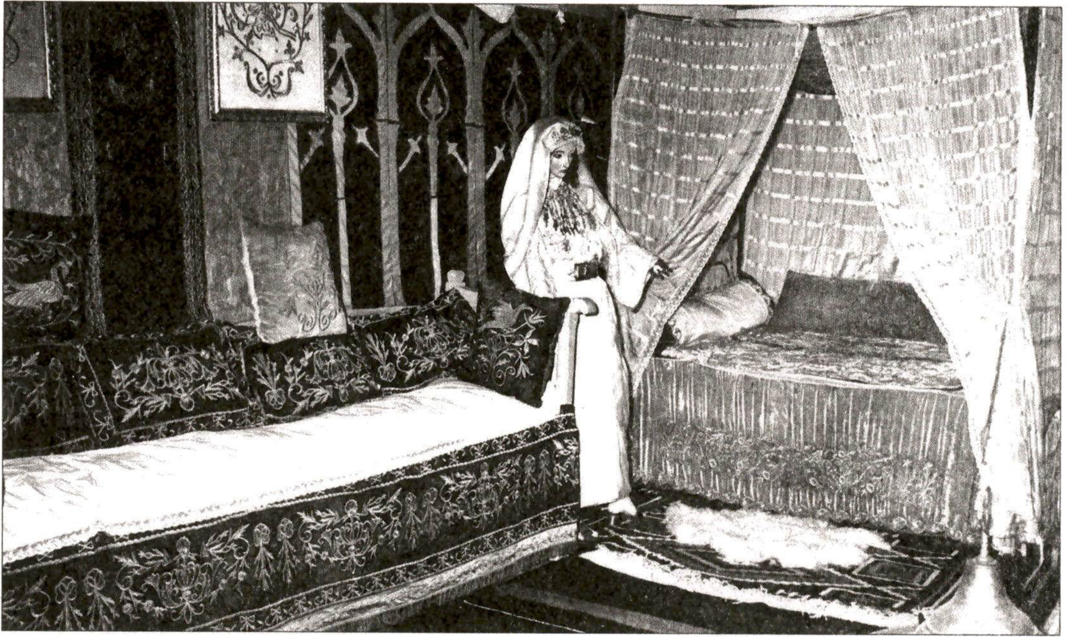
(الباشا) لفظ أتى في القاموس العثماني ،كمصطلح لرتبة عسكرية، يتمتع بها ضباط الجيش العثماني، كما كان يتمتع بها أيضاً، بعض رجال الدولة، من المدنيين، ومن الذين ينعم عليهم الباب العالي، بهذه الرتبة، من جناب السلطان نفسه، وكان أحمد القره مانلي، قد تمتع بهذه الرتبة، إثر توليه سلطة الحكم لإيالة طرابلس الغرب، سنة 1711م وكان هذا الأخير، قبل وبعد جلوسه على كرسي هذه الإيالة، مغرماً بالنساء، فقد تزوج الكثير، من نساء المدينة والبادية، والزنجيات، والعلجيات، والتركيات، وكان من أشهرهن زواجه من إبنة محمد باشا الإمام شائب العين، ذات الأصول البلقانية، وبالتحديد من البان الجبل الأسود، وهي الأرملة السابقة، بعد مقتل زوجها، خليل باشا الأرنؤوطي، في معركة

خاضها، مع قوات أحمد القره مانلي، أثناء قيامه بالمطالبة باسترجاع البلاد لحكمه، في منطقة يقال لها (زواغة)، بالقرب من العجيلات، كانت هذه الأرملة، قد رفضت في بادئ الأمر، أمر زواجه منها، لولا إلحاح هذا الباشا المتكرر، وإصراره على أن يثنى رفضها المستمر، وكان يوهمها دائماً بأنه طيب الخاطر، وليس له شأن في حبه للتشفي، من زوجها القتيل، خليل باشا الأرنؤوطي، أو لأن ينتقم من وفائها لهذا الزوج، كان إعجابه بها كبيراً، لأنها سيدة جميلة، وافرة الحسن، وبهية في طلعتها، تنعم ببشرة بيضاء، لها قوام فارع، كغصن البان، وعينان زرقاوان، كأنما كان سحر أمواج البحر، تسبح بأعماقها، كان الأمر صعب، على أحمد باشا القره مانلي، فاضطر إلى أن يأخذ نفسه ويضعها، أمام ولي صالح، كان يعيش



بداخل بستان له بمنطقة الهنشير، يقال له الشيخ الصيد اليحياوي، لعله يقنعها بما طلب منها الباشا، في زواجها منه، أخذ هذا الولي على نفسه هذا العهد، فلبت بعد أن نصحها بمستقبل زاهر، إذا ما تزوجته، إذ أنها قد ترزق منه بولد يصبح أميراً، وهكذا تم زواج أحمد باشا القره مانلي منها، وأنجبت له إبنه محمد، الذي تولى بعده كرسي الحكم، وعرف كأول وريث، للأسرة القره مانلية الحاكمة، وهو محمد باشا (1745 ـ 1754) م .

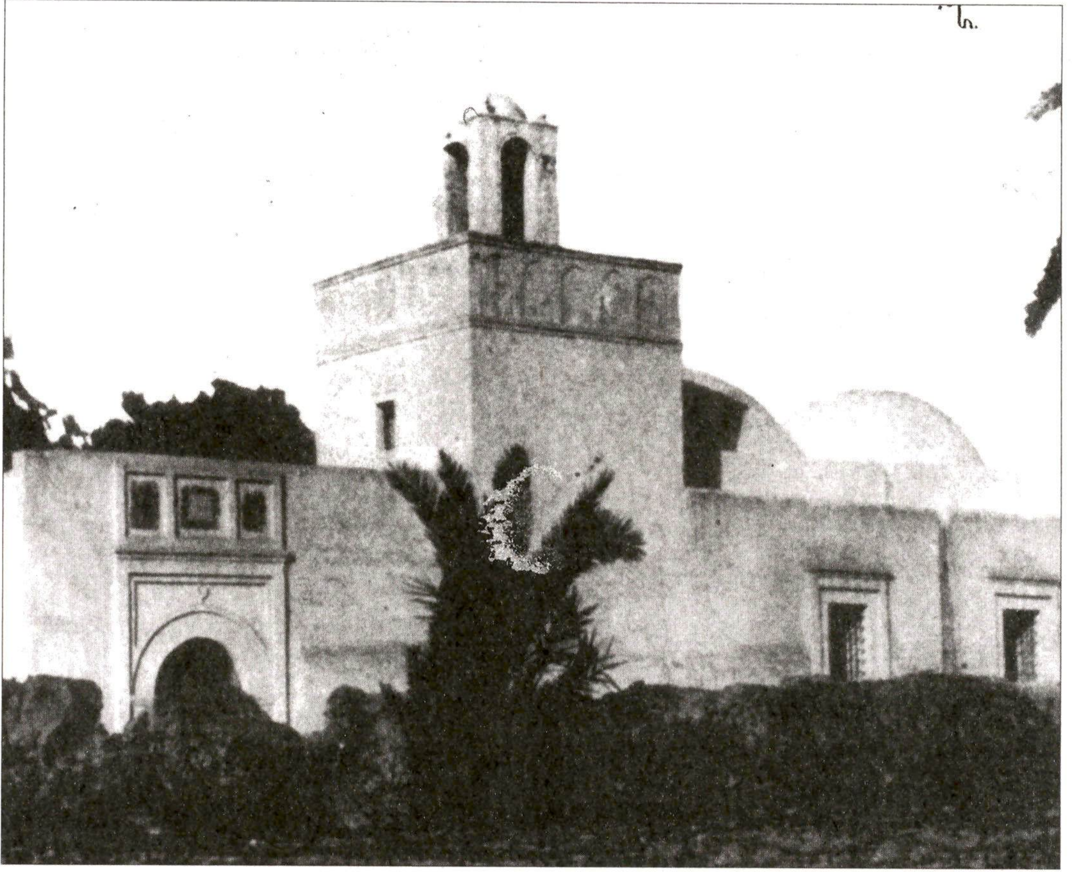
وباحدى صفحات عقود النكاح، الخاصة بحضرة هذا الباشا، يظهر لأحمد باشا القره مانلي، عقد زواج لفاتنة المدينة القديمة، المسماة (حواء علجية)، إبنة عبدالله العلجية .. ولازال في المدينة القديمة، يعرف باسمها زقاق، ومنزل يعد من أجمل منازل هذه المدينة .. وكان لقبها يدل على أصلها الأوروبي، مع انتمائها لعقيدتها الإسلامية، التي درج



عليها كل من دخل الإسلام، معتنقاً له، بدل الديانة المسيحية، وانخراطه لخدمة الراية العثمانية، فهو علجي، لم تكن (حواء علجية) إلا واحدة ممن أغدق عليها، حضرة الباشا، الكثير من المال والذهب والفضة الباهظة الثمن، في مهرها .. حتى ينال منها الرضاء، كزوج يسكن إليها، عدد من السنوات لا تتجاوز، العشرة ربيعاً، وكان ذلك من تاريخ نكاحها سنة 1124هـ، وطلاقها منه سنة 1135هـ .

وفي قصة أخرى، تناولت إبنة الشيخ الصالح الصيد اليحياوي، وفي ذلك لم يخف هذا الباشا، غرائزه المذمومة، أثناء توجهه لزيارته، وكان هذا الشيخ، يقيم ببستانه بساحل الهنشير، كانت الطريق التي تعبر إلى هذا المكان، ممتدة بمحاذاة غابات النخيل وأشجار الزيتون، رحب هذا الشيخ، بقدوم الباشا إليه، ليأخذ قسطاً من الراحة النفسية والروحية، قبل أن يشاهد الحفل المقام، بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، وبينما كان هذا المشهد يتعاظم، وهذه الجموع تتزاحم، فإذا بهذا الباشا كعادته، يبحث عن أطماعه، بين تلك الجموع، فتقع عينه على ملامح صبية، كانت تحمل تحت لحافها، الذي يلف كامل جسدها، اسمى آيات الحشمة والأدب، ولكن ما تحمله عين الباشا، معنى آخر، غير الذي هي فيه، طلب الباشا يدها على الفور، عارض والدها هذا الأمر، بسبب أنه ليس في

مستوى أسرته الحاكمة، لم يكن هو إلا فلاحاً، يعزق الأرض البور، ولكن غطرسة الباشا وكبريائه، جعل منه أن لا يذعن لذلك الرفض، واستقر الأمر، على أن يتم تجهيز هودج لها، ينقلها إلى ردهات القلعة .. وودعت هذه الصبية أباها، بكلمة طمأنته فيها، بأنها سوف لا تمكنه من نفسها، طالما أنه كان غير راض بزواجها منه، وبداخل الغرفة، التي خصصت لها، كانت تجلس على أريكة، قد أعدت لأن تركن إليها، وفي هذه الآونة، قامت باحتساء قارورة صغيرة، تحمل سما، فتك بها، قبل أن يدخل الباشا ليراها جثة هامدة، سمع الشيخ ما جرى لابنته .. فدعى ربه أن يسامحها، ويغفر لها، وأن يجزي كيد الظالمين، بما ظلموا، فعاش بعدها هذا الباشا، في نهاية حياته أعمى، ثم انتحر بيده لا بيد عمر، في مكان قصى بداخل حديقة القصر بالقلعة، عندما أفرغ عيارات غدارته على نفسه، بعدما رفض خادمه القيام باطلاق العيارات ،على سيده .



القبطان بين المطرقة والسندان

المكان : أسوار المدينة القديمة

الزمان : العهد العثماني الأول

ظهرت في طرابلس الغرب، ثلاث أسر تحمل نفس اللقب، (عائلة القبطان) كانت الأسرة الأولى، تحمل أصولاً إيطالية، قد وفدت من مدينة (كالابريا)، وهي من ذاكرة القرن السابع عشر الميلادي، وهي من سلالة القبطان، الملقب بحسين القزدار، الذي بنى مسجداً للصلاة، وإلى جانبة قصر لسكناه ،وإيواء سباياه، بمنطقة المطمُربزاوية الدهماني .

أما الأسرة الثانية، فهي من أصل تركي، فيما كانت الأسرة الثالثة، تعود إلى أصل انجليزي (اسكوتلاندي)، وهي من ذاكرة القرن التاسع عشر الميلادي، وجدها يدعى (ليزلي)، الذي اعتنق الدين الإسلامي وتخلى عن نصرانيته، إبان فترة حكم يوسف باشا القره مانلي، سنة (1795)، وسمي بعد ذلك مراد بن عبدالله القبطان، وقد تم قتل هذا القبطان، في النهاية أثناء الحرب الأهلية، التي دارت بين أبناء القره مانلي، بالقرب من جامع المغاربة بطرابلس الغرب .

وفي هذا الموضوع، نتحدث عن حكم الاعلاج، وبأس الانكشارية في بسطها لمقاليد الحكم، والسلطة المتمثلة بالدرجة الأولى، في قبضة الداي، ومعنى ذلك السيطرة ،على الديوان وعلى سلطة القاضي والمفتي، وفي هذه الحالة، يجب عليه أن يكسب الرهان في ترضيته، ومودته إلى الانكشارية، بالإغداق عليها بالأموال والثروات، حتى يطمع هذا الداي في بيعتهم له، كي يضمن بقاءه في السلطة، وعلى نحو ذلك ينبغي عليه أيضاً، أن يكسب مودة والي الايالة، الذي يعينه السلطان العثماني، لكتابة التقارير عن حالة البلاد، إلى جنابه الأعظم، لتكون مليئة بآيات الرضا، مقابل ما يصله من أموال وهدايا تليق بمكانته الشرفية، ثم إلى جانب ذلك، عليه أن يقوم باغداق جيوب السلطان، في كل سنة، بالأموال والثروات والهدايا النفيسة، حتى عليه بلفظ الباشا، وبالتالي يكون هو الحاكم الشرعي لهذه الايالة .

وهكذا كان الحاج عبدالله (المسن)، قد جلس على كرسي الحكم بطرابلس الغرب سنة 1684م، وعمره اثنتان وتسعون سنة .

كان الحاج عبدالله الازمرلي، يستعمل (الكاليس) في تنقلاته اليومية، بين أرجاء المدينة والمنشية، وهي عربة صغيرة مجرورة بواسطة الخيل، لها عجلتان ومقعد يحمل راكبين، ويغطى هذا المقعد، في العادة (بكليم) منسوج بالصوف الملون له، شراريب صوفية بيضاء.

وفي أحد أيام الصيف الحارة، تقترب خطوات السايس، الذي يقود العربة، المقلة على

متنها شخصية الداي الحاج عبدالله الازمرلي، المتوجه إلى حيث اقامة منزله بالمنشية، وهنا يأتي إليه أحد أعوان مراد بيك المالطي، المقيم بمنطقة ترهونة، وقد اتخذ منها مراد بيك ملاذاً له ولأعوانه، يرغمه فيه تسليمه حسين القبطان (القزدار)، حتى يقتص منه، ويصفي معه حساباته القديمة، وقد أذعن له الحاج عبدالله الازمرلي، ولبى له ما ابتغى، فأرسله إليه مع أعوانه من ضباط الانكشارية، ولكن ما أن ساروا به عبر طريق ترهونة، حتى أطلق سراحه، وعاد إلى طرابلس، واستطاع حسين القبطان، أن يزيح الداي العجوز عن كرسي الحكم، بل أسره، وقام بتنصيب بديل له، وهو إبراهيم التارزي، بفضل ما لقيه من تأييد، رجال الانكشارية، الذين كانوا معه، أي جانب تعيين محمد الكره دغلي، قائداً للجند ولكن الأخير مازال يراهن، للقضاء على ما أوجده، مراد المالطي، من نفوذ في ترهونة، حيث هزمه، وتمكن من قتله، بالقرب من منطقة ترهونة .

وبينما كان إبراهيم التارزي، منشغلاً بترتيب منزله الريفي، بداخل مزرعته بشارع الشط، وإذا بوزيره الأول حسين القبطان، يستبدله بداي آخر غيره، نظراً لما كان يملكه من نفوذ، بين طائفة الانكشارية، وكان الداي الجديد، هو محمد داي الكره دغلي، وأصله من البان الجبل الأسود، وقد تأهل بأن يعتلي هذا المنصب، بعد أن تمكن من اخماد الفوضى والقلاقل، التي كان يثيرها مراد المالطي، لمدة عشر سنوات، كان الداي الجديد، قد اشتهر قبل اعتلائه كرسي الحكم، بالاستقامة والورع، فلقب بالإمام، لأنه أمم المصلين لمدة خمسة وعشرين سنة بجامعه، الذي بناه بالقرب من سوق الحرير وسوق الترك، كما اشتهر بين العامة، باسم شائب العين، بسبب وجود الشيب ببعض اهداب عينيه، واستمر بعد ذلك حسين القبطان الكلايجي، يشغل منصب الوزير الأول، في عهده (سنة 1687م) ولكن هذا القبطان، لم يلبث بين عشية وضحاها، حتى شعر الداي الجديد ،بأن صدره بدأ يضيق به، وأصبح لا يتحمل شيئاً مما كان يقوم به هذا القبطان، في شؤون الايالة، وكان أول المنظرين لازاحته، حيث كان لابد لهذا الداي، من أن يعيد حساباته، باختلاق قضية أمام حشد من ضباط الانكشارية، يتهمه فيها بالاختلاس، وقد صار له أمر ذلك، بأن أوعز إليهم، بأنه أعطى لوزيره الأول، الذي كان في تلك اللحظة، ماثلاً أمامهم، فوق سفينة القيادة، مبالغ مالية كانت ضمن مخصصاته، م من ثروات غنائم اسطولهم البحري



الصغير، أخذها لتوزع عليهم، ولم يأت بها إليهم، مما أثار ذلك غضبهم عليه، حيث نهضوا عليه، وقد كبلوه بالاصفاد والحبال، دون أن يثير في ذلك حفيظته، لانه كان حتى رمقه الأخير، يراهن على نفسه، بأنه سينجو بروحه، من حبل المشنقة، بفعل كثرة أعوانه وأتباعه، ولكنه كان مخطئاً في تصوره هذا، حيث وصل به الجمع، إلى باب المنشية، وهناك علق كما علقت كثير من الرقاب قبله.



التفاحة المسمومة



الزمان : العهد العثماني الأول

المكان : قلعة السراي الحمراء

قبل أن ندخل مباشرة، في صلب الموضوع، ينبغي لنا أن نعرج قليلاً، على الأوضاع التي كانت سائدة، أثناء الفترة العثمانية الأولى، وخاصة من جانب استحواذ فئة الانكشارية للسلطة، ووضعها على رأس حفنة، من أعلاج الدولة العثمانية، من ذوي الأصول اليونانية، والإيطالية، والفرنسية وهم من حديثي العهد، في اعتناقهم الدين الإسلامي، وهم ممن غامروا، على متن سفن القرصنة البحرية، في عرض البحر الأبيض المتوسط، كبحارة، ورياس، وقباطنة، وفي وقت قصير من الدهر، يصبح هؤلاء حكاماً وولاة ودايات، لأيالة طرابلس الغرب، ما عدا (درغوث ريس باشا)، الذي كان تركي الأصل، وأما (مراد أغا)، الذي تولى قبله ،الولاية، فإنه كان من أصل إيطالي، وكذلك (علج على) كان إيطالياً، (وجعفر باشا) كان روسياً، (ومحمد باشا الساقزلي) يونانياً، (وعثمان باشا الساقزلي) يونانياً أيضاً، (وعثمان الشوهلي) يونانياً، (ومصطفى الاستانكويلي) يونانياً أيضاً، (وبابا عثمان فرنسياً)، (وبولوك محمود) كان إيطالياً، (ومحمد الامام شائب العين) البانياً من الجبل الأسود، (مونتي ناقرو)، (وخليل باشا الأرنؤوطي) كان من البان البوسنا، (ومصطفى القره مانلي) من الجبل الأسود، إلى آخر القائمة .

وفي هذا يمكننا القول، أن (العهد العثماني الأول) يمكن أن نسميه بعهد الدايات، أو العهد الانكشاري، اسوة بعهد المماليك في مصر، بينما يمكن أن نسمي العهد العثماني

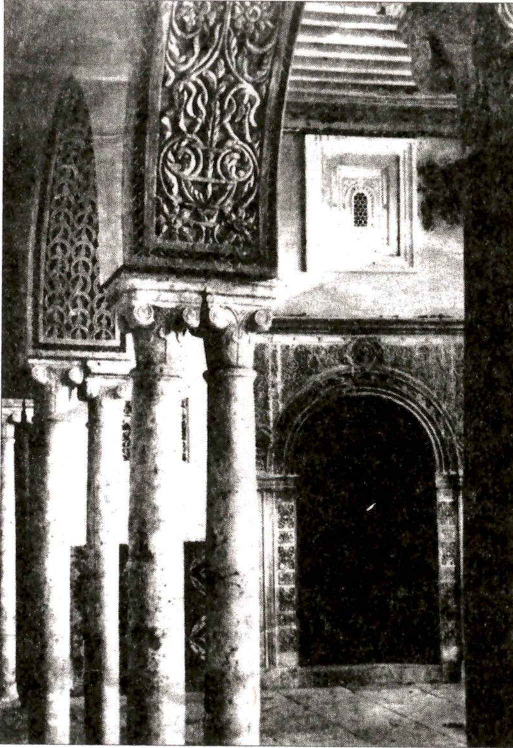


الثاني، بعهد الولاة أو الباشوات الاتراك، المعينين من قبل السلطان العثماني مباشرة، ومن شخصيات عهد الدايات ،نذكر (محمد كيوس الساقزلي)، وشخصية (عثمان كيوس الساقزلي)، اللذان يربطهما لقب واحد، وقد حكم الأول طرابلس سنة 1649م، أما الثاني فقد حكمها بعده في سنة 1672م، وليس من قبيل الصدفة، أن يلتقي كل منهما بالآخر، وتنشأ بينهما صداقة ومودة، من اللحظة الأولى للقائهما، في طرابلس، بسبب ما كان يجمعهما، وطن واحد ،وجنس واحد، وعمر متقارب، كان محمد الساقزلي علجاً من أصل يوناني، ولد سنة 1601م ،بجزيرة كيوس اليونانية (ساقز)، من أبوين مسيحيين، كانا قد نزحا قديماً، من جزيرة جنوة الإيطالية، وكان الاسم القديم لهذا العلج، قبل أن يدخل الإسلام (جيوفاني سوفيتي)، وفي موقع آخر كان يدعى (يوحنا)، وتدعى عائلته (بجوستتياني)، ذات الأصول الإيطالية القديمة، في جنوة، قام والده في بادي الأمر، بتوجيه ابنه إلى التجارة، ولكن ممارسته لهذه الحرفة، وهو ابن العشرين من عمره، قد تعلم فيها مواطن البحار، فصارت معرفته بها كاملة، مما جعله أن يكون بحاراً، ولم يزل والده يرعاه ويدعمه، حتى اشترى له مركباً خاصاً، توجه به إلى الجزائر، وهو في ريع الشباب، وفي هذه الرحلة، صادف أن وقع بينه وبين أحد الانكشاريين، من الترك مشاجرة عنيفة، تغلب فيها بقوة بدنه فبطش بها على خصمه، وأرداه قتيلاً، وصدرعليه حكم من الديوان، بعقوبة الاعدام، ولكن قبل تنفيذ هذه العقوبة، خير بين تنفيذ هذا الحكم، وتخليه عن النصرانية، بدخوله الإسلام، وعلى الفور اختار أن يشهر إسلامه، ويترك دينه القديم، عن عقوبة الاعدام، واختار أن يكون اسمه الجديد، محمد بن عبدالله، فيما لم يعد ليحتمل البقاء في الجزائر، حيث اقلته سفينة متجهة نحو طرابلس، ليلتقي على رصيف المرسى، بابن جلدته، عثمان الساقزلي، الذي كان هوالآخر، من مواليد جزيرة كيوس (ساقز) اليونانية سنة 1600م، من أب يوناني مسيحي، يدعى (جيوفاني ستينيانو)، وأم تدعى(صوفيا)، كان هذا الأب، اسكافياً فقير الحال، وكان ابنه (ليون) ،الذي هو عثمان الساقزلي، ابن العاشرة من عمره، يدخله والده لتعلم حرفة نسيج (الدامسقا) ،وعندما بلغ التاسعة عشرة، دعاه قريباً له، كان زوجاً لأخته المسيحية، واسمه (رجب بيرام)، لزيارة طرابلس، ولكن هذا الفتى المسيحي، لم يكن ليسيطر على عاطفته، الجامحة فقد وقع في حب فتاة من بلدته، أغراها وأوقعها في الخطيئة، ثم فر بها، على متن قارب إلى تونس، وهناك تم أسره، من قبل مصطفى شريف داي طرابلس، الذي اصطحبه معه إلى طرابلس



سنة 1622م، ثم عمل بها تحت إمرة حاكمها، قائداً للجند، حتى وصل في آخر الأمر (داياً) متربعاً على كرسي طرابلس سنة 1649م .

أما رمضان آغا، صاحب كرسي طرابلس (الكهل)، فقد استفاد من وجود محمد الساقزلي، صاحب الامكانيات النادرة، بين أمراء البحر، فزوجه من ابنته (يامنة)، ولكن ما لبث أن تمكن الأخير ،من رصد نقاط الضعف السائدة بأركان رأس السلطة، التي يرأسها صهره، حتى راودته نفسه بالإنقضاض، في نهاية الأمر على صهره العجوز رمضان آغا، في ساعة متأخرة من الليل، واحتجزه عنده في القلعة، وتربع هو على كرسي الحكم سنة 1631م، وبعد أن أصبح محمد باشا الساقزلي، داياً على طرابلس، وعثمان الساقزلي، قائداً لجنده، التفت إلى تطويق مصادر النفوذ والقوة من حوله، فوجد امرأة يقال لها (مريم)، بنت فوز الشبلية، وكانت هذه ذات نفوذ كبير، وعلاقات قوية، لدى الانكشارية، والسكان المحليين، وبمجرد أن علم أن زوجها مريضاً، ويحتاج إلى يد تساعده، توجه إليه لزيارته، ومعه سلة، ملآنة بتفاح مزرعته الفسيحة بالمنشية، وكان من بينها تفاحة، جعل بها سماً قاتلاً، حتى يريحه من آلام سقمه، وتناول هذا المريض التفاحة المدسوس بداخلها السم، انتهى بعدها هذا المريض، وفارق الحياة، وبقيت مريم الأرملة، تعيش حياة الترمل، بلا زوج يملأ فراغها، في الوقت الذي كان فيه ينتظرهو اللحظة التي تقبل فيها الزواج منه، وأن تكون بعد ذلك، احدى سيدات القلعة، وبعد أن قبلت هذا الأمر، سارت مريم الشبلية، إلى طريق غرفتها القبلية، في القلعة، لتحصد فيها آخر ساعات عمرها المتبقية، لها وقبل أن تدخل عليها يد الغدر، وتكتم أنفاسها، يحضر نفسه، لينعم هو بحياة الهدوء النسبي والاستقرار،



فضلاً على ما آلت أموالها وثرواتها، التي كانت تملكها بداخل صندوق، لها مخرج بصفائح الفضة الخالصة .

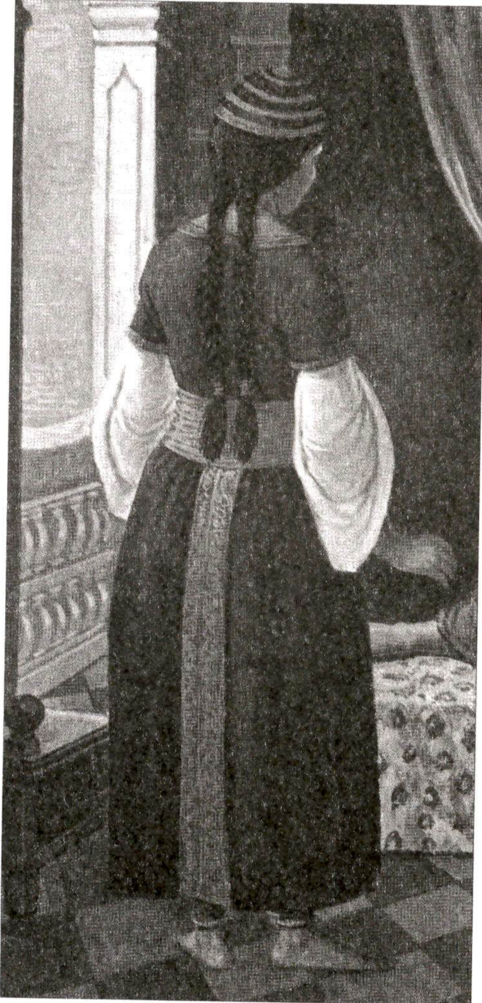
كان المسلك، الذي كان يتبعه محمد باشا الساقزلي، سواء مع خصومه أو مع من يراوده فيه أدنى شك، أو يرتاب منه، سواء من أعوانه، أو حتى أتباعه، لا يخلو من حيلة، إلا ووضعها للتخلص منه، حتى أصبح اسمه القديم (جيوفاني) (جوانيّ) مثلاً عامياً، تردده ألسن الناس، لأخذ الحيطة والحذر، لمن كثرت حيلته ،فهو (جوانيّ) .

ولكن، في آخر حياة هذا الداي، يداهمه المرض العضال ،على سرير نومه (الناموسية) التي تحوي الشراشيف، والستائر الحريرية، والمخاد المخملية القرمزية، التي تملأ مضجعه، وعلى جانب منها، مد يده المرتعشة، إلى قنينة صغيرة، بها دواء ظن أنه يشفيه من مرضه، ولكن شكه في هذا الدواء سيميته، طلب من خادمه، أن يتناول قبله الدواء، وعندما أبى هذا الخادم أمره، أخذه هو واحتساه، ولكنه دون جدوى، سقط الداي، من سريره مغشياً عليه، تقطعه سكرات الموت، وسقط معه عرشه، دون رجعة، سنة 1649م، وفرح الناس، بعدما انتشر الخبر بموته، ودفن بمقبرة خاصة، بجوار ضريح (دارغوث) ريس باب البحر، فيما اجتمع الديوان، وضباط الانكشارية، وأجلسوا على كرسي الحكم، صديقه القديم عثمان ذي كيوس الساقزلي، الذي ظل يحكم طرابلس، إلى أن توفي سنة 1672م، ودفن بداخل مقبرة خاصة، ملحقة بالمدرسة الدينية ،التي عرفت بأسمه (مدرسة عثمان باشا) بباب البحر .

الأصابع المبتورة

الزمان : العهد العثماني الأول

المكان : قلعة السراي الحمراء



كانت بعض الالقاب الوافدة، إلى طرابلس الغرب ،مع بداية العهد العثماني الأول، ذات ألفاظ ومعاني، مأخوذة من اللغة التركية ،بعضها كان منسوباً، إلى أوطان كانوا قد نزحوا منها، ومن هذه الألقاب، لقب (الساقزلي)، وهو منسوب إلى جزيرة ساقز اليونانية، (وفورجي) من جورجيا، (والقره مانلي) من قره مينيا، بآسيا الصغرى (والنابولي) من مدينة نابولي الإيطالية، (والازمرلي)، من أزمير بتركيا، وبعضها يعود إلى اسماء قوميات، مثل لقب (الارنؤوطي) ويطلق الاتراك هذا الاسم، على قومية الالبان، (والكردي)، (والتركي)، (والدغيّس)، من داغستان، وبعضها الآخر، يحمل مفردات لها معاني باللغة التركية، مثل لقب بيرام، وهو بمعنى العيد، وشلبي بمعنى التحلى بالكرم والشجاعة، والكريكشي وهو المسؤول، عن حركة التجديف، فوق السفن الحربية والتجارية، عندما تتوقف الاشرعة عن العمل، (وكاره) بمعنى الأسود ،والشوشان أو الجوشان وهو مبعوث السلطان العثماني، والشاوش وهو الجاويش، الى آخر اللائحة، من هذه الالقاب، التي لعبت بعض الشخصيات، التي انتمت إليها، أدواراً طواها الدهر، بيد أن هذه الالقاب، التي تلقب بها،

هؤلاء النازحون من أوطانهم، قد تكاثر نسلها، حتى أصبحت، من أصول إلى فروع، تسكن المدينة، وأخرى منها تسكن المنشية .

وبينما نحن نتصفح أوراق التاريخ المبعثرة، فإنه حتماً سنجد في واجهة هذه الأوراق، سطوراً خطها هذا التاريخ برأس قلم، بينما أنه في نفس الوقت، لا يخشى أصابع يمكن أن تقذف به، أو لأن توصله إلى أبعد حدود الكلمة، فالتاريخ لا يرحم .

وفي هذا السياق، تقول المصادر التاريخية، بأن قصة ظهور عثمان الساقزلي، كانت بدايتها، قد ارتبطت بسيدة اسمها (ايرين) اليونانية، وهي أخت لعثمان باشا الساقزلي (ليون جيوفاني) سابقاً، وفي نفس الوقت زوجة لأحد اعلام العهد العثماني الأول، ويدعى (حسين)، فيما بقيت هذه الزوجة معه، على دينها النصراني، حتى مجيء شقيقها (عثمان) إليها بمكان إقامتها بطرابلس الغرب، في زيارة خاصة، بدعوة من صهره (حسين)، بدأت هذه الرحلة، من جزيرتهم الصغيرة، التي كانت تسبح حولها قوارب الصيد، ومراكب شحن البضائع، في آن واحد، بين ارخبييل جزر البلقان، فهذه نظرات أخته (أيرين) له تردف الدموع، وهي تنتظره بفارغ الصبر، وهي وحيدة تعيش حياة الغربة، بعيدة عن أهلها في مدينة طرابلس الغرب، بينما كان هو .. أي (ليون جيوفاني) يودع أباه وأمه (صوفيا) على عجل، وهو يبحث عن مركب، تقله إلى المكان الذي يقصده، وبينما كان هو كذلك، ترى عيناه سارية مركب، يرفرف عليها علم يوناني، تدل على أنه يتأهب لدخول عرض البحر، وعلى متنه شحنة من البضائع، المرسلة إلى أحد المواني، بغرب إيالة طرابلس الغرب، وعلى الفور يجمع (ليون) نفسه، وهو يركض في عجل، بخطوات تسبق احداها الأخرى، حتى يلحق به، قبل أن يقلع وتدفعه أمواج البحر، وساعده قبطانها على الصعود إليه ،وكاد ألا يفلح في التسلق، لولا حبال الشيمة التي امتد إليه، وكاد ألا يصدق نفسه، وهو يعبر البحر، في بداية رحلته المليئة بالمغامرات ..

وكان موعده مع القدر، وكان القدر له بالمرصاد، فقد تم أسر هذا المركب، من قبل اسطول البحرية الطرابلسية، التي كان ساعتها يتجول في حوض البحر المتوسط، واقتيد هذا المركب، إلى حيث انقطعت به السبل، بمرفأ طرابلس البحري، وهبط منه (ليون)

ومن معه، قبل أن يطلق سراحه، بمعرفة صهره الذي تواجد بالمرسى، وأخته التي ما لبثت أوصلته إلى منزلها، الذي أقام فيه معها، بأحد غرفه الضيقة، إلى أن يجد له موطن شغل، يقتات منه، ولكن عاطفته تغلبت على عقله، بعد مكوثه بوقت قليل، فقد تعرف على فتاة يونانية، في عمر الزهور، من بنى جلدته، تعمل بأحد حانات المدينة، كانت هذه الحانة الصغيرة، بداخل خان بالقرب من وسعاية النصارى، بالمدينة القديمة، بالقرب من كنيسة السيدة مريم .. وكانت هذه الفاتنة، تكسب قسطاً وافراً من الجمال ،كأنما لو كانت في صورة تمثال، صنع بأيدي اغريقية، فشعر رأسها الكريستال، ووجهها التي تغطيه المساحيق، والالوان القرمزية المدهونة ،على ثغرها الصغير، لم يزده إلا إغراء وعشقاً، مما جعله ينشغل بها، في أيامه ولياليه، ثم يغرر بها وتقع في الخطيئة، ولم يكن لديه في هذه الحالة من بد، غير أن يفر بها إلى تونس، بواسطة قارب صغير، ولكنه لم يلبث أن يمكث بها في تونس، حتى وقع اسيراً بيد (مصطفى شريف داي)، الذي كان يملك طرابلس الغرب، اقنع هذا الداي، اسيره باعتناق الإسلام، وترك نصرانيته، كشرط لتحريره من الرق والعبودية، وبذلك أصبح (ليون) علجياً مسلماً، يحمل اسم (عثمان)، ولم يدر أنه سيصبح يوماً داياً على أيالة طرابلس الغرب، غير أنه عندما أتى هذه المرة، إلى طرابلس الغرب، انخرط تحت لواء الدولة العثمانية، مثل غيره من أعلاج هذه الأيالة، وصار قائداً للجند، في عهد صديقه وابن جلدته محمد ذي كيوص الساقزلي، ثم أصبح من بعده (دايا) يأتي في خلافة كرسي طرابلس الغرب سنة 1672م، كانت أخت عثمان بعد توليه الحكم، قد اسلمت ولحقت بزوجها، الذي اسلم قبلها، وصار إبن أخت عثمان، رجب بيكاً ، فقد خلع عليه خاله، لقب البيك، وعينه قائداً لجنده، ثم زوجه من ابنته قميرة، كما زوج ابنته الأخرى (فاطمة)، إلى علجي آخر يحمل نفس اسم صهره الاول رجب، أما ابنته الثالثة، للا حليمة وأمها زنجية، فقد تم زواجها بعده، وكان عثمان الساقزلي مزواجاً، له العديد من الزوجات، اللاتي انجب منهن ثلاثين من الابناء، ذكوراً وإناثاً، وكانت احداهن ممن أصبحن، من حريمات القلعة، زوجة له تدعى فاطمة، وكانت من الفاتنات الجميلات في الحريم، ولكنها في نفس الوقت، كانت لها علاقة سرية، وطيدة بأحد تجار طرابلس، ولم تمضي هذه العلاقة كما بدأت، في سريتها بل تفشت هذه العلاقة، وتداولت بين ألسنة الناس، فقد تظاهر (عثمان) في بادئ الأمر، بأن هذه القصة، لا تعنيه بعد أن طلقها، وعلى حين غرة، سار إليها، مع نفر من رجاله المدججين بالاسلحة، وقتلها، وقتل من كان

معها، ومن كان حولها، من رجال ونساء، ومن بينها كانت عجوز، تعمل وسيطة لها، وخادمة زنجية، تعمل في خدمتها فقد قذف بجثثهم جميعاً في البحر .

كانت قسوة عثمان داي، تفوق كل حد، فكان يقوم بانزال عقوبته بنفسه، سواء بالجلد، على أجساد معذبيه، وهم عراة، بواسطة قرباج مفتول، واحياناً كان يستعمل جريد النخل المذبب بالسل، حتى يدمي به أطراف الجسد، وكان لا يهدأ له بال، إلى أن ينتهي من عمليات الجلد، أمام أعين الناس، من رعيته كل مساء، بالقرب من ساحة القوس الروماني، بباب البحر .

وكان من ضحاياه جاريته، التي ظن أنها تسرقه، فقام بعد تعذيبها وجلدها، بداخل القلعة، ببتر أصابع يدها، ارضاء لنزوته، في التعذيب، وحبه في القصاصمن الضعفاء، ممن كانوا على منزلة هذه الجارية، التي تركها عاجزة، بدون أصابع تساعدها على الحركة، التى كانت تصرفها، في خدمته وأخيراً مات منتحراً ذليلاً ،على فراشه عندما احتسى السم، بعد أن حاصره اعداءه، بداخل قصره بباب البحر.

حكم أصحاب المهن

الزمن : العهد العثماني الأول

المكان : قلعة طرابلس

لم يكن حكم الاعلاج لإيالة طرابلس الغرب، أثناء العهد العثماني الأول، إلا مرحلة من المراحل السيئة، المليئة بالمتناقضات، والتفاهة والسخرية، إلى أبعد الحدود، وفوق ما يتصوره العقل، إن لم نقل أنها مهزلة من مهازل التاريخ، فالواقع المرير، التي كانت تعيشه البلاد، جعلها تقع تحت نير الجهل، والمرض، والفقر، من جهة، وما قد ذاقه السكان والاهالي، من ويلات القهر، والاستبداد، والظلم، والعسف، الذي جبل عليه، شرذمة من أعلاج الدولة العثمانية، في حين أن هؤلاء، لا يملكون شيئاً من مقومات البشر، سوى أنهم كانوا، ينتمون إلى عنصر واحد، واصول واحدة، تأصلت في العنصر والجنس الرومي، ودياناتهم القديمة التي تعود إلى النصرانية، ثم ترك هذه الديانة، باعتناق الدين الإسلامي، والتخلص من الاسماء، التي





تشير للديانة المسيحية، واستبدالها باسماء مختارة، من معجم الاسماء العربية، ناهيك عن الانخراط تحت الراية العثمانية، وخدمة السلطان العثماني، قلباً وقالباً، بالرغم من أن البعض منهم، كان أيضاً لا يفقه القراءة، ولا يحسن الكتابة، ولكن في نفس الوقت، كان هذا الأمي، حادقاً ومفرطاً في الذكاء، والبعض الآخر، كان ملماً يجيد التحدث بالعديد من اللغات المختلفة، بسبب تعامله مع الكثير، من بحارة الموانى الممتدة على البحر الأبيض المتوسط، كما أن أغلب هذه العناصر، جاءت من مواليد شتى من بلدان العالم ومدنه، ولم تكن فينيسيا، والبندقية، أو نابولي، وراجوزا، وكيوس، ونيس، إلى آخر القائمة، هي البلدان التي شهدت مجيء مختلف هذه العناصر، البلقانية والبلطيقية، والقوقازية، من أعلاج الدولة العثمانية، التي أشير إليها فيما سبق ذكره، بل كان البعض ممن أصبح بعدئذ، يجلس على عرش طرابلس الغرب، (داياً أو باشا أو والياً) عليها، هم من أصحاب المهن، مثل إبراهيم داي التارزي، الذي كان يعمل خياطاً، ومحمود تيمور الحداد، الذي كان يعمل حداداً، بسوق النجارة، ويطلق على الحداد باللغة التركية (تيمور) وحسين القبطان، القزدار الذي كان يعمل قزداراً للقدود بسوق القزدارة، ومحمد الدباغ، وعثمان القهوجي، الذي كان يقوم بتحضير شراب القهوة، بأحد دكاكين سوق الترك، وحسن الجشملي، الذي كان يعمل سباكاً، للحنفيات التركية، وكان من غير المستغرب، أن يظهر بينهم، عثمان داي القهوجي، وهو ابن الأربعين سنة، من مواليد ازمير، كان في أول الأمر يعمل جندياً، بأحد فيالق الجيش العثماني، ثم افتتح له مقهى متواضعاً، بسوق الترك، كي يستقبل زبائنه، من خواص الاتراك، ومن كبار رجال الانكشارية، الذين يأتون إلى قهوته، كل مساء، يحتسون من فناجين صانع البن، القهوة الممزوجة بحب الهان، التي كانت رائحته تعبق بين أرجاء سوق الترك، وما حوله ..كانت (السزوة) النحاسية الصغيرة، هي الوعاء الذي يحمل البن، (والسخان) النحاسي، هو الذي يحمل الماء الساخن، (والاوجاق) هو موقد الفحم، الذي يتم بواسطته الطبخة، للحصول على شراب القهوة التركية المحببة، وعند الزاوية الشرقية، من المقهى، كان لون سواده، يظهربركن هذا الموقد، حيث يجلس عثمان القهوجي، بشملته الحمراء، فوق ركابة ثابتة، مغطاة بتازير مصنوع من السمّار، وهو يمسح على أطراف شواربه المعكوفة، وعيناه بازغتان، نحو أحد العرافين، ممن كانوا يقرأون الفنجان، فقد أودعه رؤيته، بأنه سيصبح يوماً دايا لهذا البلد، ولكن «كذب المنجمون ولو صدقوا» .



وبقدرة قادر، يصبح عثمان القهوجي، متربعاً على كرسي الحكم، بعد أن كان ملازماً كرسي المقهى، خلفاً لحكم الداي محمد الامام الكرادغلي شائب العين، في سنة 1701م بعد أن أزاحه الانكشاريون عن الحكم .

ولكن لم تطل أنفاس عثمان طويلاً، فقد تلقى في نفس السنة، نبأ الإنقلاب على حكمه، وهو لازال يرتب أوضاع البلد، بداخل القلعة، على أثر سماعه طلقات نارية، بالقرب من باب مقهاه القديم، بسوق الترك، وأن خصمه، كان مصطفى القره بوللي وأعوانه، قد بدأ في محاصرة القلعة، من جميع الجهات، وفي الوقت الذي كان فيه عثمان القهوجي يراهن، في الدفاع عن قلعته، بمجهود حربي كبير، حتى أرهق نفسه من التعب، ورأى أنه ليس في سبيله، إلا الهروب لانقاذ نفسه، فأتى بحبل كي يهبط به، إلى خارج القلعة، دون أن يحس به أحد من خصومه، أو يفطن به أحد من أعدائه، عندما سار تحت أسوار القلعة، من جهة البحر، وقد اختبأ بداخل جرف مغمور بماء البحر، واحتاط لنفسه، وأغلق عليه فتحة هذا الجرف، وسده بحجر كبير، حتى يقيه رؤية الاعداء المنافسين له، الذين كانوا يبحثون عنه بواسطة قارب صغير، بالقرب من أسوار القلعة، ولكن لسوء حظه، بدى طرف من شملته الحمراء تظهر خلف ظهره، على سطح الماء، دون أن يدري، وبالتالي عرف خصومه مكان مخبئه، وعلى الفور قبض عليه، واقتيد إلى داخل القلعة، مكتوفاً بالحبل الذي أتى به وقت الهرب، ومنها تم نفيه إلى ما وراء البحر، دون أن يتم اعدامه وقتله بوساطة من القنصل الفرنسي .

غدرية الغدر الآثمة

الزمن : العهد القره مانلي

المكان : قلعة السرايا الحمراء



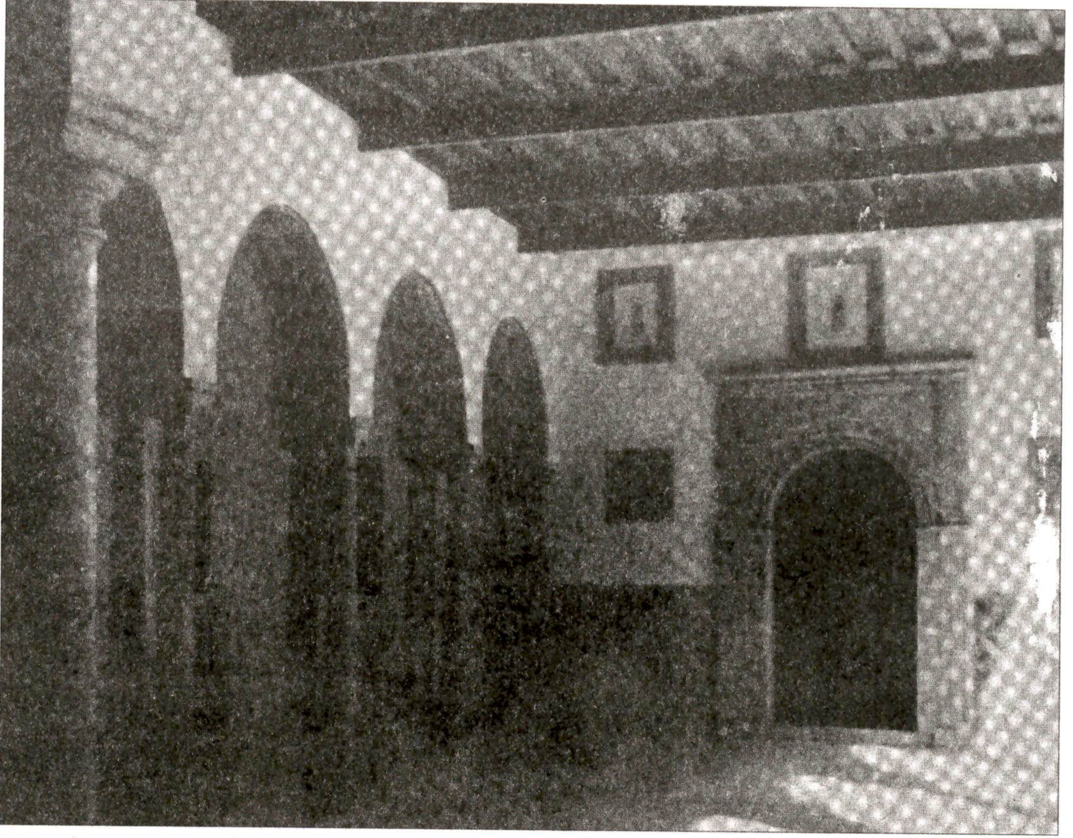
حسن بك القرهمانلي

أعتلى علي باشا القره مانلي، كرسي الحكم الوراثي، بعد وفاة والده، محمد باشا سنة 1754م وتربع من بعده على العرش، مدة 31 سنة ميلادية، عاشها يسكن اجنحة القلعة، مع حريمه، إلى جانب منزله الخاص، بداخل المدينة القديمة، المعروف بحوش الحريم الكبير، بالأربع عرصات، (معرض طرابلس التاريخي الحالي) علاوة على منازل الحريم الأخرى، وهي لا تبعد كثيراً، عن مقر إقامته بشارع الأربع عرصات، وكما هو الحال فإن هذه الإقامة لم تكن دائمة على مدار السنة، وإنما كانت فصلية، في فصل الشتاء والخريف، تكون فيها الإقامة بداخل المدينة، بينما تكون هذه الإقامة، أثناء فصل الصيف والربيع، بداخل المنزل الريفي بالمنشية، الذي يأخذ طابعه المتميز من سمات منازل المدينة والقلعة، وهو المتأثر بالطراز المعماري الاندلسي، ذلك الذي يزخر بالزخارف الجصية والخزفية، التي تعكس جمالياتها على العقود والأعمدة والتيجان، لمحة من ملامح الإبداع والروعة للعمارة الإسلامية، خصوصاً عندما يكون هذا الجمال، مودعاً لدى بساتين المنشية، الزاخرة بأشجار النخيل، والكروم، والرمان، المنتشرة على جنان القرنفل والفل والياسمين، كانت اللا حلومة، زوجة الباشا وأبناؤها

الثلاثة (الباي حسن وأحمد ويوسف)، من المهتمين بسانية الباشا الكبيرة، بشارع الزاوية، بما تزخر به من منتوج للتفاح، والبرتقال وشجيرات السفرجل، والحناء، والعنابي، كان هذا المنزل الريفي، قصراً من أكبر قصور ضاحية طرابلس الغرب، فوجوده بمنشية طرابلس، كان سبباً مباشراً في استعمال الثوار المتنافسين له ليكون مقرا لقيادتهم، أثناء الحرب الأهلية، التي دارت بين أبناء أسرة القره مانلي .

في سنة 1851م تحول هذا المنزل، إلى دار للطب، ومستشفى عسكري، أسسه مصطفى نوري باشا، في العهد العثماني الثاني، ليخدم الرعاية الطبية، لعساكر الاتراك، أما البستان المذكور، فقد حوله الإيطاليون، أثناء احتلالهم لليبيا، إلى مستشفى كبير، استقبل مئات الجرحى، من الإيطاليين والأحباش، في حربهم لاحتلال الحبشة والصومال، بينما لازال هذا المستشفى، يعمل بشكل جيد، في استطباب المرضى، إلى وقتنا الحاضر، تحت اسم مستشفى طرابلس المركزي، ثم تحول إلى اسم مستشفى أبن النفيس، أما المنزل الريفي، فقد استعمل إلى وقت قريب، عيادة خارجية للمستشفى المذكور، ثم أزيل عن حيز الوجود بالكامل ،ولم يبق له من أثر، وقد احتفظ بلوحاته التذكارية، ضمن محتويات المتحف الإسلامي، عاش علي باشا القره مانلي، في آخر سنوات حكمه، بعيداً عن ريف المنشية، وقريباً من المدينة والقلعة ،على مدار فصول السنة، أعمى فقيد البصر، وبالتالي فقد تدهورت حالة البلاد، عندما أصبحت اشرعة الأسطول الصغير، في ضعف، وهو الذي كان يصول ويجول ،بعرض البحر االمتوسط، نتيجة لانشغال أبناء الباشا، في الصراع على من يتعطف عليه والده، بحلة البيكاوية، وأصبحت حياة الناس من سكان المدينة، والمنشية، والبادية، والريف، لا تطاق، فكان الخلاف ضارباً أطنابه، بين الحسن أكبر أبناء الباشا من جهة، وتحالف أحمد الأوسط، ويوسف أصغر أبناء الباشا من جهة أخرى ،على لفظ البيكاوية، التي هي ولاية للعهد، لمن يعتلي كرسي الحكم بعد أبيه، ثم أخذ هذا العداء، منحاً آخراً، بعد الدور الذي لعبته اليهودية (سيرين)، المقربة للقصر، التي استطاعت بقوة دسائسها الخسيسة والخبيثة، في نفس الوقت، أن تنجح في تسويق بضاعتها المغرضة، بين ثنايا لحافها (السفراري)، المسير بخيوط (البرمبخ) ،الذي يخدع الأعين، بلون الخز الحريري، فهو لا يغطي من جسدها الهزيل، غير جزء قليل منه، أما منديل (اليازمة) الأسود، الذي يغطي جزء من شعرها الأسود الفاحم، فإنه كان يخفي عنها أنظار التعاسة ممن يقعون في فخها، ولم يكن هناك أقرب من فتنة تدبرها،

وتنسج خيوطها، بين علاقة غير سوية تختلقها، بين الأميرين الأخوين، (حسن ويوسف) في ردهات أجنحة الحريم، أدت إلى مواجهة عنيفة، تخللتها عبارات لا تليق ببقائهما، في جلسة بين يدي والدهما، وجمع من الحضور، على شرف مناسبة العيد، كان علي باشا القره مانلي، يجلس وقتها بين ضيوفه، على أريكة بوسط ايوان الغرفة، التي يشرع منها باب، يسمح لأشعة الشمس، أن تدخل بقرب اريكته، لتمنحه دفأها من برد الشتاء، ولم يدر الجالسون حولها، أنها في نفس الوقت، قد الهبت حرارتها، حفيظة كل من الأخوين، إلى طلب المبارزة وجها لوجه، خارج القلعة وقد ارتشق كل منهما، مع انصاره السيوف والأسلحة، والتقى الجمعان على مشارف السرادق من القلعة، التي تملأها عويل وصراخ حناجر النسوة، من الحريم والخدم، اللاتي أصابهن الخوف والرعب، فيما يتقدم هذا الحشد، الوالد العجوز، بملابس نومه، دون أن يرتدي القفطان أو العمامة، محاولاً فض النزاع، القائم بينهما، واستطاع بما تبقى في كاهله من مصائب هذه الكوارث، وبسرعة عادت حمائم السلام ترفرف على هذا الموقف، بصعوبة شهدت بها أغمدة السيوف، التي كانت مسلولة للقتال ،وحاولت اللا حلومة، ن لا تستسلم للقلق، الذي كان دائماً يساورها، فهي تريد أن تخرج بهما من عنق الزجاجة، وفي لهفة الأم الحنون، لجأت إلى تهدئة الخواطر والقلوب، واستطاعت في أن تسارع لتحديد موعد يتقابلا الأخوان معاً في حجرتها التي تقبع في جناحها المختص، وهي (دار القبو) المستعملة في الوقت الحاضر (المكتب الهندسي بمصلحة الأثار بالقلعة)، شريطة تجريد كل منهما لسلاحه، وفي صباح يوم الجمعة 1790/7/20م بعد انتهاء مرسم سوق الجمعة الأسبوعي، وفي الوقت الذي تم تحديده، وصلا الأخوان، وقعد كل منهما على جانبي الأم الجالسة على الأريكة الخشبية، بوسط ايوان حجرتها، بجسدها البدين، وهي تتضرع لله عز وجل، ليكلل عملها بحسن الختام، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. بدأ يوسف الحوار، بطلبه حلف اليمين أمامها، فوافقه شقيقه حسن، بما كان قد عرف عنه من طيبة ،ووافقت بعده اللا حلومة، وهنا نهض يوسف، وسارفي خطوات سريعة، إلى مدخل الغرفة، منادياً أحد حراسه، ليأتي له بمصحف القرآن، ولكنه أتى إليه بغدريته الآثمة، المخبأة تحت غطاء المصحف، وكان حادثاً مميتاً، ارتاعت له فرائس الأم المسكينة، حين صوبها مباشرة لتستقر أحد عياراتها، في صدر أخيه حسن، والأخرى نحو عنقه، مسبباً في جرح ذراع



أمه، التي حاولت عبثاً أن تحمي أبنها بيديها، وفي الرمق الأخير لأنفاسه يلتفت القتيل، معاتباً أمه، وكما لو كانت هي، التي وضعته في هذا المأزق، وعلى الفور يدخل نفر من حراسهِ الزنوج، إلى مكان الحدث، لاخراج جثته إلى فناء المنزل، بالقرب من الشاذروان، وهي نافورة الماء، حيث أتموا تفريغ شحنة غضب سيدهم عليه، بما تبقى بداخل الغدرية، من عيارات نارية، دون رحمة، وعندها يمتطي يوسف وصحبه، صهوات جيادهم، قاصدين المنشية، ليجد له ملاذاً بها، منتظراً ما سيحدث من ردة فعل، من جانب والده، وشقيقه أحمد، ولكن خوف والده ورعبه أوقعه، بعد انقضاء زمن النسيان، أن يتوكأ والده، على كتفه، يستجديه التوقف عن هذا العنف، وأن يرضى في نفس الوقت، بخلع حلة البيكاوية على أخيه أحمد، وفقاً للتسلسل الوراثي لنظام الحكم، وعلى منوال مكره القديم، استطاع يوسف أن يوهم أباه، بأنه خضع لما يريده والده، ولكن عندما دخل أحمد باشا المدينة،



في 1795/1/20م بوصفه حاكماً جديداً لطرابلس لغرب، كان أخيه يوسف يعد العدة للانقضاض عليه، وعلى حين غرة، انقض عليه عندما كان خارجاً من باب المنشية، ممتطياً جواده ومعه أحد أطفاله الصغار، قاصداً بستان المنشية، وفي هذه الأثناء، يقفل عليه يوسف أبواب المدينة، بينما دخل هو القلعة منصباً نفسه الباشا الخامس، في سلسلة حكام الأسرة القره مانلية في 1795/6/11م، يصفه بعض المؤرخين، بأنه كان يجمع بين الفضائل والرذائل، وهو خليط بين الوحشية والكرم، وهو رجل اجتماعي، وأب عطوف، وصديق مخلص، ويصفه آخرون، بأنه رجلاً حسن المظهر، يبلغ من العمر، حينها أربعين سنة، لا يخلو من الذكاء، وحضور البديهة، يتحدث الإيطالية بدرجة جيدة، يحب الأبهة والفخفخة، ويحتفظ بالوقار والحشمة، دون أن يهمل المجاملة والكياسة .



عودة الأتراك برأس غومه



الزمان : العهد العثماني الثاني

المكان : مدينة طرابلس

سئم سكان الساحل، والمنشية، والمدينة، حياة الفوضى العارمة، والممتدة أطنابها، على اتساع إيالة طرابلس الغرب، لمدة ثلاث سنوات كاملة، بسبب الحرب الأهلية، الدائرة بين أبناء أسرة القره مانلي، وتحديداً بين الباشا الجديد، علي ابن يوسف باشا القره مانلي، الذي لازال هذا الأب العجوز يؤازر ابنه، ويساعده على إرساء حكمه، بشكل مطلق على طرابلس الغرب، وبين ابن أخيه محمد ابن حسن باي القره مانلي، المطالب بعرش أبيه المفقود، ويتحصن الباشا الجديد ووالده العجوز بداخل المدينة، بعد أن سد أبوابها الرئيسية، بمواد البناء، بناءً على نصيحة وزيره وصهره وشقيق زوجته (حسونه الدغيس) إلى جانب تأييده من طرف القنصل الفرنسي، في طرابلس .

بينما على الجانب الآخر، كان يتمركز الثوار المنافسون، على أرض المنشية والساحل، بزعامة ابن عمه (محمد بيك) المطالب بالعرش، مع أخيه أحمد، الذي يقل عنه وسامة وقصراً، في طول القامة، ويفوقه قسوة وغلاً، في تعامله مع من يجده حوله، وكان الموقع الذي تمركز فيه الثوار، من الناحية الإستراتيجية، بالغ الأهمية والسيطرة، لخنق المدينة،

والتضييق على مصالحها التجارية، بينها وبين المناطق الداخلية، وقد أخذ هذا تأييداً كبيراً، من جانب القنصل الإنجليزي (وارنجتون)، علاوة على كسب التأييد، الذي كان يبديه عن بعد، من جزيرة مالطا، الحاج محمد شلابي (بيت المال) الذي سبق ان تولى قبل ذلك، منصب الوزير الأول، في عهد الباشا السابق، يوسف القره مانلي، والذي لم يبذل قصارى جهده، بعد ذلك اتجاه الثوار ،في موقفهم بالمنشية فحسب، بل دعمهم بالمجهود الحربي، عوضاً عن إشرافه بشكل مباشر، في إدارة شؤونهم الإدارية والمالية، بما تمتع به من خبرة فائقة، تجمع في شخصيته، بين رجل السياسة والحرب، وهذه قد تجسدت، على مظهر بنيته الضخمة اليافعة، وهو لا يتجاوز الأربعين من عمره .

ولم يكن الحاج محمد بيت المال شلابي، ليأخذ هذا الموقف بانحيازه إلى جانب الثوار، لولا ما فعله الباشا الجديد، بتعيينه لغريمه الأول حسونه الدغيس، كوزير أول، بسبب حميته، وبزواجه من أخته، ولم يكن حسونه الدغيس، في ذلك الوقت، يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره .

وفي مثل هذه الأحوال بعد اشتداد نار الحرب الأهلية، كان السكان من الجانبين، يتجرعون حياة الشؤم والشقاء، فما كان لراحة الهدوء تصل إليهم، إلا قليلاً، بل كانت معدومة عند البعض الآخر، ولم يكن الزمن يمضي، على حساب تعاستهم، بل كانت المطالب المستمرة منهم، تصل تباعاً إلى الباب العالي، حتى تصدع رأس السلطان العثماني، وعقد العزم، على أن ينهي هذا الضجيج، الذي أصبح مملاً، ولا يحتمل تزايده أكثر، أمر السلطان، بإرسال أسطول قوامه عشرون قطعة حربية، تحمل خمسة آلاف عسكري عثماني، لردع الثوار، وتغيير نظام حكم طرابلس الغرب، بإرجاعها إيالة عثمانية، غير مستقلة، إلى سلطانه المباشر، بقيادة مصطفى نجيب باشا (آمر الاسطول) وقبل أن يصل كامل الاسطول، وصلت أول طليعة منه، وهي (فرقاطة) على متنها أحد قادة الاسطول (شاكر أفندي) الذي سار بعد نزوله على رصيف الميناء، إلى مقر استضافته (بحوش الباشوات) بشارع جامع الدروج، بالمدينة القديمة، والذي التقى فيه بباشا طرابلس، وأوهمه بمجيء باقي الاسطول لنصرته، وقد أبدى له الباشا، بما يجب الترحيب لنصره واستعداده، لاستقبال الجيوش العثمانية، في معسكرات أعدها، بما يقتضي سبل الإقامة والمعيشة، وبعد أن صدق الباشا هذا الأمر، أصبح يعد الأيام، ويحسب الليالي، التي تأتي معها إطلالة راية السلطان، المرفوعة على أعلى سارية سفينة القيادة، ليقوم هو بأمر الترحيب بها،

بدوي كبير وكثيف، من مدافع السراي، وفي ظهيرة يوم الخميس 1895/5/28م يدعى الباشا، لاستقبال قائد الاسطول (مصطفى نجيب باشا) على ظهر سفينة القيادة، ويتجه الباشا، مع نفر من كبار حكومته، وعلى رأسهم صهره حسونه الدغيس، في زورق يشق بهم عرض البحر، إلى أن صعد منه، لسفينة القيادة، للترحيب، ورفع أبلغ آيات الشكر، لحياته ولحياة جناب السلطان، وبمجرد وصول هذه السفينة، المقلة للجميع، إلى رصيف الميناء، ينزل منها قائد هذه الحملة (مصطفى نجيب) باشا بمفرده، دون مصاحبة حضرة الباشا، الذي جاء وصعد لاستقباله، حيث أنه تحفظ عليه بحجزه، على ظهر السفينة، ولاح في أفق طرابلس، حالة من الترقب، ما جعل الناس، الملتفون حوله، يتهامزون، بأن شيء ما ينتظر مصير الباشا المحتجز، وقد اقترن هذا الموقف بدخول (مصطفى نجيب باشا)، راكباً بمفرده على جواد أحضر إليه، بينما كان جميع مرافقوه، ومن بينهم حسونه الدغيس، يترجلون سيراً على أقدامهم، بمحاذاة الصفوف المرصوصة بالسكان، إلى أن وصل الركب، بمقربة من ساحة القلعة، التي أعلن فيها، بتوليه الحكم، إلى (محمد رأفت باشا) لحكم طرابلس الغرب، بعد إسقاط ورحيل أسرة القره مانلي، بينما وجد في هذه الآونه، حسونه الدغيّس، فرصة في أن يهمس بأذن أخته (زوجة الباشا)، بكلمات أوجز فيها، طمأنتها بحياة زوجها، الموجود على ظهر سفينة القيادة .

وفي يوم 1855/6/2م ،أبحرت سفينة خاصة تقل (علي باشا القره مانلي)، وصهره حسونه الدغيّس، وابنه الأكبر سليمان، والكاهية سليم الكيخيا، وأبناء أخيه، ونفر من معاونيه، بينما أبقي عن هذا الركب، زوجته مع إبنتيها، ومعهم العجوز، جدهم يوسف باشا القره مانلي، بعد أن أصابه العمى، وأبناءه من زوجاته الزنجيات .

فيما فر محمد بيك، المطالب بالعرش، إلى مصراته، ومن قبله فرار شقيقه أحمد، إلى مصر، بينما رأى (الحاج محمد شلابي بيت المال) الإلتجاء إلى فرقاطة إنجليزية، كانت راسية على الميناء، ثم نزل منها مع شقيقه (علي بيت المال)، لخدمة قائد الحملة (مصطفى نجيب باشا)، حيث أصبح (بيت المال) مستشاراً خاصاً له، إلى أن قام الوالي، علي أشقر باشا، بنفيه إلى استانبول، مع محمد آغا التركي، سنة1254هـ لإتهامه بالتمرد من جديد، لصالح القره مانليين، وقد تم إعدامه بعد ذلك، بأحد سجون الأستانه باستانبول.

ولم يكن (مصطفى نجيب باشا)، ليظفر بالهدوء طويلاً، بل جابه كثيراً من العصيان، من قبل القبائل العربية بالدواخل، بسبب إرهاقهم بالكثير من الإتاوات والضرائب المرتفعة، في الوقت الذي تم إعفاؤها، عن أفراد وجماعات طائفة الكول أوغلية، ممن كانت لهم نفس الأعمال التجارية، والزراعية، وقد ظهر من بين هؤلاء، الذين قادوا الثورة، ضد هذه المظالم، غومة المحمودي، وهو رجل قوي وشجاع، كانت تربطه قبل ذلك بعلاقة صداقة مع القره مانليين، تدل نظراته على علامات علاقته بالصحراء التي لا تكتمل، صورتها إلا بالعيش على رمالها الصفراء، أو بين وديانها الخضراء، وكان لقصر قامته، عكس ما تحمله شجاعته، فالرجال لا يقاسون بأشكالهم، وإنما بأعمالهم، حتى أنه في ذات مرة، قد أبى أن يقبل، من امرأته أن تقوم بإكمال قياس جسده، وهو نائم، وعندما وصلت موضع قلبه، قام وقال لها :» هنا يقع بيت القصيد وكفي»، كان ذلك هوغومه بن خليفة بن عون المحمودي، ولد عام 1795م، في السنة التي تولى فيها يوسف باشا القره مانلي، حكم طرابلس الغرب، كان والده من سكان البادية، التي تمتد من بير الغنم، إلى الحدود التونسية، وكان سجله حافلاً بالبطولات وبالثورة، ضد الظلم وحكم الاستبداد، واجه الحكم التركي، بالعصيان فدخل في معارك عنيفة ضدهم، لمدة خمس وعشرين سنة، قضاها بين القتال والأسر، كان ذلك مع بداية سنة 1835م، وفي سنة 1842م قبض عليه بخدعة محبوكة، من قبل الباشا وسجنه بالقلعة، ثم نفي إلى الأستانة، ولكنه فر من سجنه بعد عشر سنوات من اعتقاله، حيث وصل طرابلس سنة 1854م، بعد سنتين من هروبه ،عبر البلدان الأوروبية، مروراً من بلغاريا والمجر، ثم إلى روما، ومنها إلى مرسيليا، ثم تمكن من الدخول إلى الأراضي التونسية، عابراً كل هذه الحدود، دونما لغة يتقنها ،غير لغته العربية، وبعد وصوله إلى أرض الوطن، استأنف عصيانه على الدولة العثمانية، ودخل في معارك جديدة أخرى، ولكنه ما أن وصل إلى منطقة جنزور، حتى تقهقر وفر الى الأراضي التونسية، ثم أخرج منها، ولاحقه الترك، واصطدم بهم في منطقة وازن، بالقرب من واحة غدامس، حيث قتل على يد الوالي عثمان باشا، في سنة 1857م وحمل رأسه إلى طرابلس، وعلق بباب المنشية، تشفياً فيه، ولإثبات انتهاء حركة المقاومة ضدهم ،على عادة الحكام الترك .

حكم الباشاوات



الزمان : العهد العثماني الثاني

المكان : مدينة طرابلس الغرب

كان وجه مدينة طرابلس الغرب، سواء على مر الأيام، أو الشهور، أوالسنين، من حكم باشاوات دولة بني عثمان، في نظر بعض المؤرخين والمهتمين بتاريخ هذه المدينة، تأخذ لها طابعاً مميزاً، من وجه واحد، لا تغير فيه، حتى وإن حاولت أن تخفي هذه المدينة، معالم حسنها، أو قبحها، تحت لحاف بنبوك الفراشية الحريرية البيضاء، بشراريبها المزهرة، بالفل والياسمين، المنظوم بجداول بساتين المنشية، دون أن تسفر هذه المدينة ،عن كامل بريق عملتها الفضية، المضروبة بدار سكة المصكوكات، من (المجيدي) إلى (المحبوب)، ذلك المشبوب ببياض مضحكها، المشرق على أسطح منازل وبيوت هذه المدينة، المطلة بأفنيتها على جانب كبير، من كورنيش الترسانة .

وبعد زوال شمس الاصيل ،على الجانب القبلي ،من جدران قلعة السراي الحمراء، تبرز أصابع التاريخ، وهي تسجل مآثر العهد العثماني الثاني، أو ما نستطيع أن نسميه بعهد الباشوات، وتحديده يكون من بداية التاريخ واليوم، الذي وصل فيه قائد حملة الاسطول

العثماني، المتوجه إلى طرابلس الغرب سنة 1832 ميلادي، (مصطفى نجيب باشا) أي مع نهاية آخر يوم، من حكم الوالي (أحمد رشيد باشا) ،بوصفه كاتباً عاماً سنة 1911 ميلادي، وقد بلغ في تلك الفترة عدد الولاة، الذين تولوا حكم طرابلس الغرب، يصل إلى ثلاثين حاكماً تركياً، يحمل كل واحد منهم لفظ (الباشا)، بناءً على (فرمان) صادر من جناب السلطان العثماني، وهم ظهروا جميعاً، بوجوه تحمل نفس السمات، التي تمر ويأتي غيرها، وان اختلفت في الأوراق والمراسيم اسماءهم، وطرابيشهم هي نفس الطرابيش الحمراء، الموضوعة على الرؤوس، بشكلها المخروطي، وقد فرض عليهم لباسها السلطان العثماني محمود الثاني، على رجال الدولة، والجيش، والدرك، بديلاً عن لباس العمامة السلطانية، وبديلاً عن القفطان المخملي الفضفاضي، الذي كان لباسه سائداً، ابان فترة انبعاث الامبراطورية العثمانية للوجود، وكانت شواربهم المعكوفة، هي نفس الشوارب، الملتقطة لها الصور الفوتوغرافية، الموضوعة بداخل الأطر المغلفة، بالقطيفة المطرزة، بخيوط الفضة، كان بعض هؤلاء الولاة، من العسكريين، فيما كان بعضهم الآخر، من كبار رجال الدولة وموظفيها، من المدنيين، وقد مكث جميعهم، على سدة الحكم، مدة بلغت ستاً وسبعين سنة بحيث لم تصل مدة أحدهم، عن فترة لا تزيد في الأغلب عن السنتين، الأمر الذي جعل كل واحد منهم، أن يكون مبلغ تفكيره، يتجه نحو جمعه، أكثر قدر ممكن من المال، قبل أن يستعد ليوم الرحيل، باستبداله بحاكم جديد آخر .

ولم يكن في الحسبان، أن يتجرأ أحد الباشوات ،من المغامرين، مثل علي برغل، إبان فترة حكم علي باشا القره مانلي، أن يقوم بمغامرة، لم يشهد التاريخ بمثلها .. وهي قيامه بمهاجمة طرابلس الغرب، باسطول بحري، حشد عليه قوة عسكرية، أغلب أفرادها، كانوا من عساكر (الأرنؤوط) الألبان، بعد أن أوهم الجميع، بأنه موفد بفرمان من السلطان العثماني، وقد عات بها فساداً، ونهباً في الأموال.. ولكنه لم يعمر به الزمن، وقتاً طويلاً، ختى اقفلت عليه الأبواب، بعودة أسرة علي باشا القره مانلي الأول من جديد، الذي التجأ إلى حاكم تونس لانقاذه، ومساعدته على العودة، وفر علي برغل بأسطوله الذي جاء به، بعد أن حمل معه أموالاً طائلة، مما اغتصبها، ووقعت عليه عيناه، من معادن ثمينه، عوضاً على أثاث القلعة بكامله، بحيث لم يترك بها شيئاً، من أخضر أو يابس إلا ونهبها .

كانت البلاد، عندما كان هذا المغامر، يلوذ بالفرار على ظهر سفينة القرصنة، تعيش حياة الفقر، والجهل، والمرض، والمعروف أن هذا الفقر والجوع، يكون وحشاً كاسراً، إذا تمكن بعمق جوف الانسان، إذا لم يجد من يوفر لديه الجود والكرم، والمرض يكون قاتلاً، يفتك بجسم الانسان، إذا لم يجد له مشفى، يضمد جراحه، ويعالج سقمه، والجهل يكون عيباً، إن لم يجد طلبة العلم لهم فرصة للتعلم، بداخل مدرسة، ترشدهم وتعلمهم أبجدية الكتابة والقراءة، بينما في هذا الوقت، كان الثلاثون باشا، لا ينظرون إلا إلى نياشينهم الذهبية والفضية، وصولجاناتهم الجميلة، فكانت تعاسة حافي القدمين، أو الذي يجر (كرتونة الكرك) على ظهره، بدلاً من أن يجره بغل أو حمار، ليس هو أسعد حظ، ممن كانوا يقومون، بغسل ملابسهم وجلودهم، بماء البحر، على شاطئ سيدي الهدار، والقبة، حتى أن الخبز الذي لا يحصلون عليه، إلا إذا توفر لهم دقيق الشعير الأسمر، والبشنة والذرة (السبول) .. من طواحين حومة غريان، والماء لا يحصلون عليه أيضاً، إلا إذا توفر لهم من الآبار السطحية، المحفورة بواسطة المعاول والفؤوس، بأفنية منازلهم .



كان المستوى الثقافي والعلمي، في البلاد، في ذلك العهد، لا يساوي شيئاً، ويكاد أن يكون غير متوفر، لدى أغلب الناس، من رعاع المجتمع، بسبب عدم انتشار المدارس الحديثة، والمدرسة التعليمية الوحيدة، التي كانت تستقبل ابناء المدينة، هي المدرسة الرشدية، بباب البحر، بالمبنى الذي كان يشغله مستشفى الغرباء، الذي أسسه أحمد



راسم باشا سنة 1884م، إلى جانب المدرسة الحرفية، التي تعرف باسم، مكتب الفنون والصنائع، الذي أسسه سليم نامق باشا سنة 1898م، إلى جانب هبوط المستوى الصحي، الذي كان هو الآخر، في مستوى متدني، إذا ما استثني، مستشفى البلدية، بشارع ميزران، الذي اسسه نامق باشا أيضاً .

وفي عهد الوالي ،علي رضا باشا الجزائري، قذفت الأمواج العاتية، على ساحل طرابلس الغرب، بأحد الحيتان الضخمة، بلغ طوله 60 ذراعاً، وعرضه ،عشرة أذرع، وقدأرسل الباشا هيكله، إلى أحد متاحف استانبول، وكان عليه من ناحية حقوق الملكية التاريخية، أن يبقى هذا الهيكل، في المكان الذي وجد فيه، إن كان هناك مصلحة تقتضي منه ذلك، قام هذا الباشا، بإنشاء برج الساعة، وجعله ساعة دقاقة، ثم حاول أن يقيم سداً من التراب على وادي المجينين، وجعل السكان من رعيته، أن يتكفلوا بتوفير عشرات المئات من المرامي، الترابية، على ظهور الحمير والبغال، في محاولة نقلها إلى هذا السد، ولكن مياه الأمطار الغزيرة، التي سقطت من السماء، أزاحت هذا السد، في ساعات قليلة، وذهب هذا السد مع مجرى الوادي، الذي بلغ سيله الجارف، وسط المدينة، عابراً في طريقه بشارع سوق الحطب سابقاً، وهو شارع الوادي، إلى أن بلغ في آخر المطاف، سوق الخبرة سابقاً، وهو ميدان الشهداء الحالي، حيث مكان (مقبرة حسن الساقزلي)، وهي المعروفة بمقبرة سيدي حمودة، وقلعة السراي الحمراء الحالية، وسخر الملء، من بعض ماقام به هذا الباشا من أعمال، مثل تشييده برجاً للساعة، وسداً على مجرى واغدي المجينين وفي ذلك كانت تقول هذه الكلمات :

علي باشا قالوا مخصوص
دار الساعة بالناقـوس
علي باشا مهبول صحيح
يعاند في الرملة والريح





الجهاد وسفن الأسياد

الزمان : العهد العثماني والقره مانلي

المكان : ساحل مدينة طرابلس الغرب

عمليات الجهاد البحري، التي كانت تتم، من جانب البحرية الليبية، ضد حركة الملاحة للدول الغربية، بالبحر الأبيض المتوسط، لم تكن كما يصفها المستشرفون الأجانب، في كتاباتهم، بأنها من نشاط القرصنة البحرية، وكأنهم يعتقدون بذلك، ما يسلكه قطاع الطرق، من سلب ونهب، للسفن التجارية، العابرة إلى موانئ الدول، المطلة على أعالي بحار العالم .

كان حجم الاسطول الليبي البحري، في تلك الفترة (فترة العهد العثماني الأول وفترة العهد القره مانلي)، صغير الحجم، قياساً بحجم الأساطيل الأخرى، العاملة في البحر المتوسط، إلا أنه كان يمتلك هذا الأسطول قطع كانت أسرع على الحركة والمناورة، من



تلك القطع الأخرى المماثلة له، بفضل الخبرة، التي اكتسبها رجال البحرية، من الحرفيين، والرياس المهرة، من سكان هذه مدينة طرابلس الغرب .

كان رصيف الشعاب، الممتد على حافة المرفأ، أو ما يسمى أحياناً برصيف القره مانلي، ودار الصناعة، القريبة من خندق قلعة السرايا الحمراء (التيرسانة)، على درجة كبيرة من الحركة الذاتية، التي لا تعرف الملل، تلك كانت أخشاب السفن المقطوعة من أشجار غابات الزيتون، المنتشرة على مرتفعات ترهونة، ومسلاته، وغريان، وهي خير وأجود الأخشاب، التي تصنع منها أنواع القطع البحرية، وكان النجارون المهرة، وسواعدهم السمراء، على درجة عالية من الدراية لتعويم هذه القطع، وجعلها مجهزة بالمدافع، والمجاديف، والأشرعة، لتصارع الرياح السافيات، والأمواج العاتية، بكل رباطة جأش المقاتل، في المعارك البحرية، إذا اشتدت وطأتها، في الوقت الذي كان فيه، حكام تلك الفترة يدعمون هذا الأسطول ببعض القطع البحرية الكبيرة، سواء بشرائها، أو باغتنامها، من أيدي أساطيل أخرى، تخوض معها المواجهات البحرية .

وقد إهتم يوسف باشا القره مانلي، أثناء فترة حكمه (1795 ـ 1832) ببناء هذا الأسطول، وقد أصبح في عهده، من أخطر الأساطيل العاملة القوية، التي سيطرت سيطرة فعالة، على حركة السفن التجارية، وفرضت على دولها الغربية، الكثير من الأتاوات

والجزيات، وأرغمت أصحابها بالرضوخ إلى عقد العديد من الاتفاقيات والمعاهدات، مع حكومة طرابلس الغرب، وذلك لتأمين سير سفنها التجارية، مع ضمان سلامتها، من الاصطدام بها، وكانت الدول التي رأت أن تحافظ على سمعتها، أن تكون غير معرضة لهذا الخطر، وهي مجموعة لا بأس بها من دويلات شبه الجزيرة الإيطالية، التي تتمثل في دول سردينيا، ونابولي، وتوسكانا، وجنوه، وصقلية، والبندقية، والتي امتلأت سجون طرابلس الغرب بأسراهم، وكانت هذه السجون التي آوت هؤلاء الأسرى من الإيطاليين، في العهد العثماني الأول، سميت بأسماء بعض القساوسة، وقد أطلق عليها اسم (البانيو)، أي الحمام لكثافة رطوبتها، وارتفاع درجة حرارتها، وانعدام الضوء والتهوية بها، ومن هذه الحمامات، (حمام سان أنطونيو)، الذي بناه محمد باشا الساقزلي، بطريق الخندق، و(حمام سان ميكيلي)، الذي بناه صفر داي بن باكير بباب البحر .

كان يوسف باشا القره مانلي وقتها، لا يزال في الخامسة والثلاثين من عمره، أثناء أسره للبارجة الأمريكية (فيلادلفيا)، وكانت له زوجتان، واحدة بيضاء، أنجب منها خمسة أطفال، والأخرى زنجية، وله منها أربعة أطفال، كان يعامل يوسف باشا القره مانلي، رجاله من رياس بحريته كأبنائه، فكان يغدق عليهم بالأموال، من الغنائم التي تقع بأيدي سفنهم البحرية، وكان يخلع عليهم الحلل، والبرانس الموشاة بمغزول الحرير والفضة، وكان من أبطال بحريته، الرايس عمر الشللي، الذي كان يقيم بداخل منزل متواضع، بالقرب من زنقة الباز، وقد قاد هذا الرايس، الأسطول البحري الليبي، المشارك في الحرب الدائرة، بين الدولة العثمانية واليونان، كما قاد الأسطول البحري الليبي، المدافع عن طرابلس الغرب، ضد حملة نابولي سنة 1829م، ويبرز من هؤلاء الأبطال، في تلك الفترة الرايس محمد السوسي، الذي قام بمهاجمة البارجة الأمريكية (فيلادلفيا)، سنة 1803م، وذلك بأن أطلق مدافع سفينته عليها، بمجرد دخولها عبر مضيق جبل طارق، في طريقها إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، لمحاولة إعاقة سيرها، وتقدمها إلى هدفها المنشود، لضرب مدينة طرابلس الغرب، سنة 1803م، بالرغم من أنه قد تم أسره إثر هذه المواجهة .

وليس هناك من يجهل الدور، الذي قام به أحد أبطال الأسطول البحري الليبي، الرايس محمد زريق (الرودلسي)، وأصله من جزيرة (رودس)، الذي قام بمناورة جريئة، ضلل فيها



قائد البارجة الأمريكية (فيلادلفيا)، عندما باغته بسفينته التي كانت في حالة اختباء، مع بقية الأسطول الليبي، خلف الجزر القريبة من برج أبو ليلة، إذ جعلها أن تطارده نحو المياه الضحلة ،برصيف شط الهنشير ،وقد جنحت به بعد ان شلت حركتها تماماً، وعلى متنها عدد 308 رجلاً، يمثلون رتباً مختلفة، وقد تم أسرهم جميعاً، وعندما نأتي إلى ذكر بعض المأثورات الشعبية، نستدرك الرقصة الشعبية المعروفة، باسم رقصة (الشيش باني)، الذي لم تكن إلا تجسيداً لشخصية الأسير، الذي كان يشاهده أطفال المدينة القديمة آنذاك، في حواريهم المجاورة لزنزانات هؤلاء الأسرى، بينما كانوا يقتادونهم في صفوف منتظمة، من الحمامات التي تأويهم، كل صباح ومساء، إلى مواقع العمل، كل حسب العمل الذي يتقنه، وما أن ينتهي العمل اليومي، حتى يسمح لهؤلاء الأسرى، إن كانوا غير ملتزمين بعمل آخر، باستغلال الوقت الباقي، في الخدمات الخاصة، لكسب بعض الحاجيات، التي تمكنهم من الحصول على المزيد من الغذاء ،الذي يتكون من خبز الشعير الأسمر، أوحساء القمح، كانت هذه الحاجة تأخذ من هذا الأسير، في مظهره أسوأ وأردأ الملابس الخلقة، ولكنه يرقص، كل حسب طريقته في طلب هذه الحاجة، وبما أن أغلب هؤلاء الأسرى، كانوا من الإيطاليين، فإن الكلمات كانت تطلق بلغة بلدانهم (تشيتشي باني)، أي بمعنى هل يوجد لديكم خبز؟، ثم (تشيتشي باني)، أي بمعنى خبزاً وحمص، وهذه المادة متوفرة، عادة في مناسبة (عاشوراء)، حيث يتكرر مشاهدة شخصية (الشيشباني)، الذي يجسده أطفال المدينة القديمة، بالشكل الذي يجعل ألياف النخيل، تلف حول جسد من كان يمثل هذه الشخصية، فيما حوله كان يلتفون الأطفال وهم يرددون :

شيشباني يباني هذا حال الشيباني
هذا حاله واحوالة ربي ايطيح مزاله

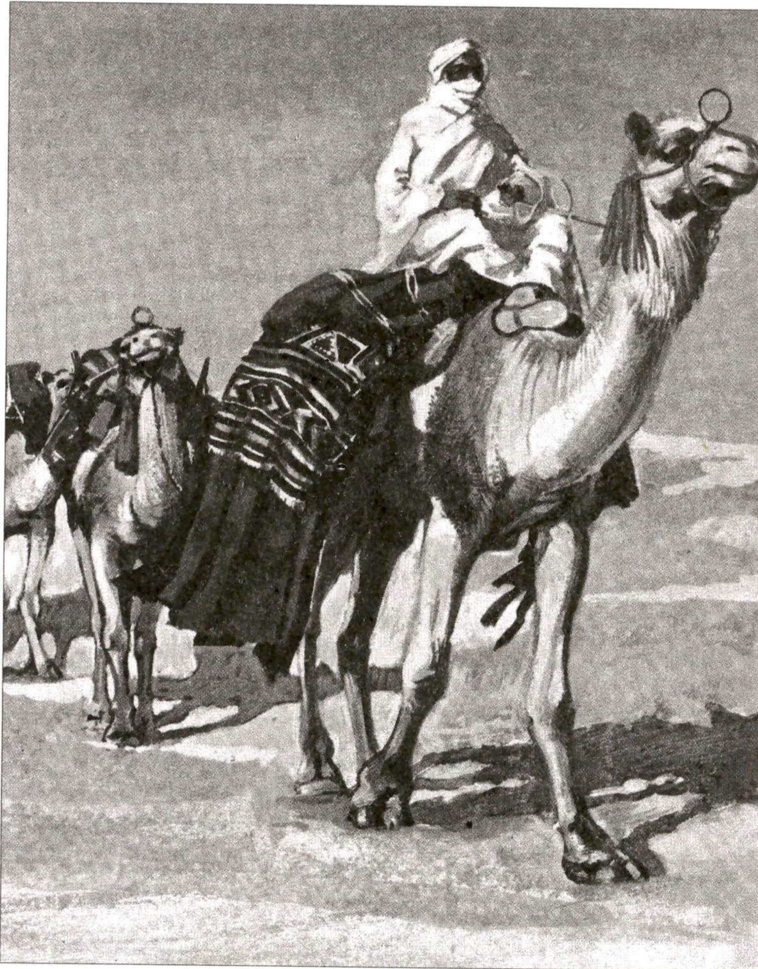


رحلة المعز من المهدية إلى الفسطاط

الزمان : العهد الفاطمي

المكان : طرابلس الغرب

بنى عبدالله المهدي الفاطمي، دولته الشيعية، على أنقاض دولة الأغالبة السنية، وعلى ما تبقى من الحكم العباسي، بشمال أفريقيا سنة 306هـ، وفي نفس السنة، بنى الأخير مدينة (المهدية) بتونس، التي انتقل إليها، من (القيروان) ومات بها سنة 322هـ، وقد مكث مدة أربع وعشرين سنة، من حكم بلاد (المغرب الكبير)، الذي كان يضم (المغرب الأقصى) «مراكش» (والمغرب الجواني) «موريتانيا» والعيون والصحراء (والمغرب الأوسط) «الجزائر» (والمغرب الأدنى) «تونس» وطرابلس الغرب وصقلية، ثم تولى من بعده القائم بأمر الله محمد أبوالقاسم، واسمه (نزار) ..



(322 هـ ـ 334 هـ) ومن بعده تولى ابنه، المنصور اسماعيل، الملقب بابن الطاهر (336هـ ـ 341هـ) وقد مات هذا الأخير، بعد سبعة أعوام من سنوات حكمه، وعمره لازال تحت التاسعة والثلاثين سنة، وجاء بعده ابنه المعز لدين الله الفاطمي، ومعد ابن اسماعيل المنصور (أبوتميم) وهو من مواليد المهدية سنة 319هـ، وقد عهد إليه والده بالخلافة سنة 341هـ، فكان الخليفة الفاطمي الرابع.

وفي عهده صارت حدود دولته، تقترب من أرض مصر، على الجهة الشرقية منها، ولم تعد بالتالي العاصمة الفاطمية (المهدية) في ذلك الوقت تفي لأن تسع بطموحه، أو لأن تملأ أحلام دولته، في الامتداد نحو الشرق العربي، مما جعله أن يعد العدة وأن يبني له جيشاً كبيراً وجراراً، تحت قيادة أبرز قواده، وهو (جوهر الصقلي) بمائة ألف مقاتل، سار بهم من مدينة القيروان سنة 359هـ، حيث اجتاز بهم البيداء، والقفار، والطرق الصعبة، النائمة على وسائد الرمال والكثبان المتحركة، في جحافل لا أول لها ولا آخر، من الجمال والنوق والخيل المسومات، حتى وصل بهذه الأرتال، إلى مدينة طرابلس الغرب، وعلى أطراف هذه المدينة الغناء، حشد قوافله، على حدود اسوارها البرية، حيث غابات النخيل المنتشرة، على خط السهل، المحادي لأراضي السبخة، القريبة من سوق الخبز، وسوق الحطب، بينما تقدم جزء من هذا الرتل، نحو هضبة الظهرة الكبيرة .

وفي 18 شعبان سنة 385هـ، كان جوهر الصقلي، قد دخل مصر، وفي نفس السنة، تم له فتح دمشق (ببادية الشام)، على يد جعفر بن خلاف، متمماً بذلك ضمها، إلى أملاك الدولة الفاطمية .

وفي سنة 359هـ بدأ جوهر الصقلي، في بناء واعمار مدينة الفسطاط بمصر، وجعلها تعمر بالابنية والعمائر الفاخرة، التي تطل باطرزتها المعمارية الفاطمية، على جانب كبير من مجرى نهر النيل الخالد، الذي ما برح أن يقهر على ضفتيه، مظالم عصر الفراعنة، وأباد على مفرق دولته، دولة القبط، فجعل لها بين أمصار العالم الآخر، اسم جديد، وهي مدينة القاهرة، وقد بنى في وسطها جامعاً كبيراً، جعله منارة للعالم الإسلامي، سماه جامع الأزهر الشريف، وقد اشتق هذا الاسم، من شدة بياض مبانيه، التي تحملها قبابه،

ومآذنه المتميزة، بأجمل معاني الفن والابداع، التي توصلت إليه فنون العمارة الإسلامية، المتأثرة بالطابع الفاطمي، وقدجعل لطلبته زياً موحداً، يتكون من الجبة، والعمامة، وهذا الزي ذو الأصل الفاطمي، لازال سائداً لباسه بداخل هذا الجامع، إلى وقتنا الحاضر، كانت رسائل (جوهر الصقلي) لم تتوقف على ديوان سيده، بمدينة المهدية، يطلعه فيها على أخبار مدينة القاهرة، وما بلغته من جمال، وسحر مبانيها، وطرقها، واسواقها، التي اعجزت من يصف روعتها، في سطور القراطيس، التي كان يحررها له كتبته . وبعد أن أفلح (جوهر الصقلي) في اقناع سيده، بأن يفكر في نقل عاصمة ملكه إليها، أخذ المعز لدين الله الفاطمي، في الاستعداد جدياً للرحيل عن المهدية، يوم 22 شوال 361هـ عابراً طريق الخط البري، بقافلة يكاد حجمها أن يفوق الناظر إليها، لكونها من أكبر قوافل التاريخ حجماً، بدأت هذه القافلة سيرها، من أحد أبواب مدينة القيروان، بأتجاه الشرق، مبرحة بذلك أبوابها المشرعة، عند سورها المحيط بالمدينة .

كان قوام هذه القافلة، يتكون من ألف جمل، وضع على ظهر بعيرها خزائن الدولة الفاطمية، وممتلكات الخلافة، يتقدمها هودج الحريم، وجحفل الخليفة، وحادي العيس، المصحوب بقارع طبول الراحلة المعمورة، على ظهور الابل، الآخذة طريقها نحو مدينة قابس، التي وصل إليها ورحل عنها يوم الاربعاء 10 ربيع الأول سنة 362هـ .

وفي يوم الاربعاء 22 من ربيع الأول 362هـ، تصل هذه القافلة مدينة طرابلس الغرب، وينزل بها المعز لدين الله الفاطمي، بعد جوازه لواحة جنزور، بمكان قريب من جامع طرابلس الأعظم، الذي بناه العبيديون على يد خليل بن اسحاق، في آخر سنة 300هـ، وموقعه بين باب البحر والباب الأخضر، وهو مثاقب لسور المدينة البحري، أحرقه الإسبان أثناء احتلالهم طرابلس سنة 1510م .

وعلى عهد سكان هذه المدينة من كرم وضيافة، فقد استقبل هؤلاء السكان، هذا الركب بكل حفاوة وترحيب، مما جعل هذا الأمير، أن يتوجه إلى وسط المدينة، بين تكبير وتهليل، أهلها ليزور الجامع الذي شيده فاتح مدينة طرابلس الغرب، الصحابي عمرو بن العاص، فوجد أهلها يقومون بترميمه وإصلاحه، بعد الخراب الذي حل به، عقب الحقب التي خلت من زمن تأسيسه، فهوقد بناه بأسوار، ليس لها باب، أو سقف، وقد أمر هذا الخليفة أحد قادته، بأن يسوق إلى أهل المدينة، واحدة من نياق القافلة، المحملة بأموال الدولة

الفاطمية، هدية من قبله، لإتمام بناء هذا المسجد، وكان ذلك سبباً بتسميته، بجامع الناقة، ومن هنا يتضح لنا جلياً، أن هذه (الناقة) قد أهداها المعز بنفسه، أثناء جوازه على طرابلس الغرب، وليس كما هو وارد، في حكاية بناء هذا المسجد، لكون أن جوهر الصقلي، يعزي إليه بأهدائه الناقة، كان وقتها (جوهر الصقلي) مبعث من طرف المعز، بكتائب من عساكره، لفتح مصر، وأن ما كان يحمله معه، سوى كميات من العتاد الحربي، وليس بمال الدولة الفاطمية ،وبالتالي فلا مجال لذكر ما يخطئ، حادثة هذه الناقة من طرف المعز .

وفي يوم 23 شعبان سنة 362هـ، تصل قافلة المعز لدين الله الفاطمي، مدينة الاسكندرية، وفي يوم السبت في رمضان سنة 362هـ، يدخل مدينة القاهرة .

رأس الغول وقصر الفلفول

الزمان : فترة حكم بني خزرون

المكان : قصبة طرابلس



بعد انتقال عاصمة دولة الفاطميين، إلى مصر، من المهدية، وجد بنو خزرون، وقتاً مناسباً لهم، للاستقلال بحكم طرابلس سنة(1002م)، وقد دام حكم هذه الأسرة 150 سنة، ينتمي بن خزرون للزناتيين، ولهم عداوة قديمة، على حكم طرابلس، مع الصنهاجيين، كان باب زناته، بالمدينة القديمة مقام على سورها الجنوبي، أحد العلامات الدالة، على وجود مضارب قبائل زناته، في الجهة القبلية من المدينة، وكان أول أمراء بني خزرون، على طرابلس هو فلفل بن سعيد، الذي يسمية الأهالي، بلفظ التكبير

والتبجيل (بفلفول)، وفي أيامه، أصبحت طرابلس، تنعم وتتمتع بنوع من الأمن، والهدوء النسبي، إذ فتحت في ذلك الوقت، أبواب أسواقها للتجار، وامتلأت محلاتها، بمختلف البضائع والسلع للمستهلكين، وازدهرت مبانيها المطلة على البر والبحر، بأنواع من العمائر الجديدة، وتحصنت أسوارها بالقلاع وبالحصون والأبراج القوية، وبالاخاديد والخنادق العائمة بمياه البحر، في الوقت كان فيه الاسطول الذي تتكون منه القطع البحرية، في ذلك الوقت، متواضعاً في حجمه، مما دعا حاكم طرابلس فلفل بن خزرون، لأن يهتم بدفاعات واستحكامات الجهة الشمالية البحرية، من المدينة فقد بنى على امتداد جهة البحر، سوراً كبيراً يحمي المدينة، إلى جانب بناء قلعة متقدمة، تعرف (بقصبة طرابلس)، أقيمت عند مدخل المرفأ، بالقرب من ضريح الولي الصالح (سيدي الشريف)، وقد تداول اسم هذه القصبة، بين ألسنة سكان المدينة (بقصر الفلفول) وقد جعل لهذا القصر أو القصبة، استحكامات قوية، تضاهي مهمة استحكامات قصبة البلدة، المعروفة بقلعة طرابلس القديمة (السراي الحمراء)، حتى أنها كادت أن تكون بتحصيناتها القوية، غير قابلة للهلاك أو الفتك بها، أثناء الحروب وحملات الغزو، بما وضع بها من حجارة صخرية صلبة، وكأنه جيء بها من جبل الصوان، ولكن أثر الدهر عليه كان أقوى من حجارته، التي أصابها بعد ذلك مرض الحجارة، وخربت وهلكت بعد أن امتدت إليها أصابع الزمن، ويقول الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، وهو يشاهد أطلاله، «وقد طغى عليها البحر من كل جانب أثناء فترة الاحتلال الإيطالي» وكان بزوال أصحابه، له أكبر الأثر، في ظهور الأساطير، وخراريف الأجداد والجدات، عن الأشباح التي سكنت باحاته المهجورة، وسراديبه الطويلة، المقفرة التي قد تربع بها (الغول) ومد بها هامته، وهو ما يعرف (بالشبح) في هلامية مخيفة للأبصار، من قبل بعض الآدميين، إذ أنه تكوّن لدى سكان المدينة، نوع من الخوف الشديد، من هول ما ينسج من قصص، حول هذا (الغول)، الذي يجد نفسه يوماً أمام أحد الغرباء، بداخل هذا القصر، فيشتط غيظاً من وجوده، بداخل هذه القصبة فيقول هذا الغول :

صنت نسري في قصري

شن جابهولي يا كسـري

ويقوم هذا الغريب مذهولاً من نومه، فيقرأ له السلام، ويرد عليه (الغول) «سبقنا سلامك قبل كلامك .. ما يسمعوا الرياح عير تطقطيق عظامك» .

ولكن هذه الخراريف، كان لا يصدقها البعض من الناس، فهؤلاء يرون «لا غول إلا غول

بنادم»، ويصبح (الغول) في هذه الحالة، متمثلاً في رأس الطاغية (صفر داي بن باكير)، الذي قطع السلطان العثماني رأسه، بعدما مكث يحكم بجبروته، طرابلس سنين طويلة، قضاها بداخل هذا القصر، ومن مآثر حكايات (قصر الفلفول) أيضاً، أن الناس من سكان هذه المدينة (طرابلس الغرب)، في زمن حكم (فلفل بن سعيد بن خزرون)، اعتادوا في يوم (عاشوراء) من كل سنة، أن يقبلوا على هذا القصر، في آخر الليل، بعد أن تسقط آخر نجمة، من سماء دجى هذا الليل البهيم، مرددين ... فيما هم يخاطبون أميرهم (فلفل بن خرزون) بقولهم :

أيل الفول يافلفول

أعطينا الفول

غذانا فول عشانا فول

يا فلفول

ويبدو أن هذه العادة، كانت متبقية من العادات، التي كانت سائدة في عهد الدولة الفاطمية، ولم يستطع فلفل بن خزرون، إلغائها، إلى أن امتد، يرددها الناس إلى عهد الوالي العثماني، محمد نديم باشا، الذي حكم طرابلس (1860 ـ 1866م) فأمره بالغائها، وقد أورد المؤرخ محمد ناجي، في كتابه طرابلس الغرب، أن هذا الوالي، قد ألغى في عهده، المراسم المنسوبة للشيعة، البالية من عهد بني عبيد، والتي كانت تظهر عادة، في يوم عاشوراء، ومن هذه العادات، طبخ الفول وأكله، وظهور ظاهرة الجمل في موكب تقليدي، بين شوارع المدينة، ووضع مسحوق الجير، على اعتاب البيوت والمنازل، وأكل رؤوس الخراف، في رأس السنة، والرياشة التي يؤكل فيها (البازين)، مع القرقوش والبيض، في تاسوعة يوم عاشوراء إلى آخر هذه العادات، التي لازال بعضها، سائداً إلى وقتنا الحاضر .



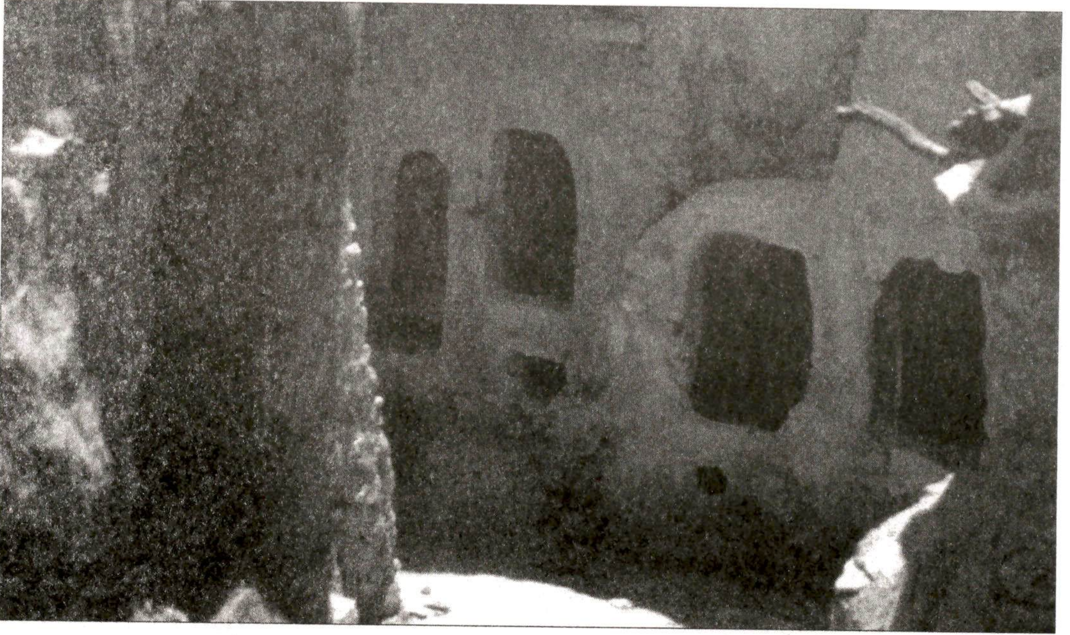
رحلة أصحاب الركائب من الأولياء الصالحين

احتضنت مدينة طرابلس الغرب، الكثير من أضرحة المشائخ والأولياء ،العابرين إليها من بلاد المغرب العربي، سواء عبر ركائب الحجيج، أو من أصحاب الرحلات العلمية، القادمين من أبعاد الدنيا، عبر آلاف الكيلو مترات، والأميال الممتدة، يقضيها المسافر إااليها، عبر طرقات ومسارات ،تخترق البراري، وتجوب بين الكثبان والقفار، رواحل الصحراء، منها في قوافل سيارة من الإبل، التي لا ينفذ صبرها، في مقاومة الجوع والعطش، وهي تحمل قسوة السفر، بأثقال جحافلها، تحت أشعة الشمس المحرقة، تاركة وراءها، وقت القيلولة لظهيرتها، دون شجرة تستظل بها، أوماء يروي ظمأها، أو نبات يكفيها شر الجوع .. هكذا

كانت مخاطر الطرق الصعبة، التي لا تثنيهم، عن القيام برحلتهم الموسمية، لزيارة البلاد المقدسة للحج، برغم المشاق والمتاعب، فكان الزاد الذي لا ينفذ، بأفئدتهم هو زاد التقوى والإيمان، فلا الزمن أو المكان، ينال شيئاً من الوقت، الذي تستغرقه مراحل الإقامة والتنقل ،بين بلدة تعقبها بلدة أخرى، بها موطن عامر، تظلله أشجار البساتين المثمرة، من أشجار الموالح والكروم، التي تستهوي راحة الابدان والعقول، للعيش فيها ، فيمكث أحدهم، ويتركها الآخر، ويصبح للعالم فيها مكاناً، يجد فيه مآرب غاياته، مأوى لمدخرات كتبه، وركناً لمنبر علمه وفقهه، فيلتف من حوله الناس، ليتعلموا منه ما يصلح لدينهم ودنياهم، تلك كانت أحد الرحلات، التي قام بها الشيخ علي الكتاني، وإسمه كما يعرفه بعض الناس، بسيدي أحمد الكتاني دفين منطقة شارع أبوهريدة، ويقال إنه وافداً من بلدة كتانة بتونس، ولكن على الأرجح، أنه كان وافداً من بلدة كتانه بالمغرب، إلى جانب رحلة الشيخ علي الهاني، وإسمه (علي الخشاب)، ويوجد ضريحه بمقبرة النوفليين ،ويقال أنه من بين ركائب المغاربة، ورحلة الشيخ أحمد الدهماني القيرواني، وقبره بمنطقة شارع زاوية الدهماني، ويقال إنه وافداً من بلدة دهمان بتونس، أثناء بسط نفوذ دولة بني خزرون، على طرابلس، أبان منتصف القرن الحادي عشر ميلادي، وقد صاحب ذلك عودة انتشار زوايا المذهب المالكي، ورحلة الشيخ أحمد المرغني، ويوجد ضريحه بالحشان (أولاد المرغني) ويقال إن أهله من أشراف الادارسة، وفد من المغرب في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ورحلة الشيخ أحمد الزروق، وقد عرف بالزروق، لزرقة عينيه ولد في مدينة فاس بالمغرب، ومكث في مدينة مصراته، عند عودته من زيارة الأراضي المقدسة، كما نذكر رحلة الشيخ أبوعيشة الكبير، دفين المنطقة القريبة، من ورشفانة، ويقال أنه وفد إليها من الساقية الحمراء (المغرب الجواني القديم)، ثم رحلة الشيخ عبدالله نبيل، مع إبنيه الشيخ خليفة الفيتوري والشيخ يوسف أبو عوسجة، إلى منطقة الزاوية الغربية، وافداً من بلاد المغرب، وكذلك رحلة الشيخ خليفة أبوغرارة، وإقامته في منطقة الغرارات، في القرن السادس عشر الميلادي، ثم رحلة الشيخ يحيى المحجوب، دفين قبيلة المحاجيب، ببلدة صرمان ويقال إنه كان وافداً من المغرب، ومن ذلك رحلة الشيخ محمد حركات الأنصاري، الملقب بالشيخ (أبوعجيلة)، دفين بلدة العجيلات، وهومن رجال القرن الرابع عشر الميلادي، مولود في بلدة بسوس في المغرب، ثم في الرحلة التي قام بها الشيخ محمد الأندلسي، وإقامته في منطقة تاجوراء، ومن المؤكد أنه وفدإليها من بلد الأندلس، وقد كان في رحلة

الشيخ سالم المشاط، الملقب بسلطان المدينة، إلى مدينة طرابلس، القديمة من بلاد المغرب، أكبر الأثر، بصلته العائلية، بقبيلة الشيخ أحمد المشاط، بمنطقة جنزور .

وبرحلة الشيخ السويح، دفين بلدة جنزور، ويقال إنه كان وافداً من المغرب، ورحلة الشيخ سويسي، دفين قوز السبعة، ببلدة جنزور، ويقال إنه كان وافداً أيضاً من المغرب، وكذلك رحلة الشيخ أحمد السايح، دفين منطقة العلاونة، (النواحي الأربعة)، ولعل في سرد هذه المجموعة الكبيرة من المشائخ، الذين وصلوا في ترحالهم، إلى مناطق متعددة، من مدينة طرابلس الغرب، إبان فترات مختلفة، من العهود والأزمنة التاريخية المتعاقبة، من بلاد المغرب الاقصى، والأوسط (الجزائر) والجواني (موريتانيا) ومن تونس، كانت قد تكونت من نسلهم، انساباً لعائلات، تنتمي إليها أسر وأفراد، وجماعات، وقبائل، تفرعت عنها لحمات، قد فصلها صاحب كتاب سكان ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، للكاتب الإيطالي (اغسطيني) أشرافاً ومرابطين .



ثروة الصناديق الذهبية

الزمان : الفترة العثمانية الأولى

المكان : قلعة طرابلس

انتشرت دهاليز وسراديب، وممرات قلعة السرايا الحمراء (الحصار)، في شكل فراغات، غائرة بعمق أرضية القلعة، يؤدي بعضها إلى أنفاق، تفضي إلى خارجها، عبر فتحات سرية، وبعضها الآخر يؤدي إلى كهوف، يصعب على أحد أن يهتدي إليها، فهي معقدة ومظلمة، يعتري الداخل إليها بشيٍ من الخوف والوجل، ومع ذلك كانت تستقبل هذه الدهاليز المخيفة، في كل ساعة متأخرة من الليل، خطوات تتجه نحو كهف سري، يتردد عليه (بالي شاويش داي)، الذي حكم أيالة طرابلس سنة (1672م)، له باب خشبي قديم (بوخوخة)، يحمل أقفالاً ثقيلة، من الفولاذ الصلب، المتقن في صناعتها، لصد الكهف بسلاسل حديدية، تمنع الغرباء عنه، من اجتياز الحد الفاصل، أو لأن يقترب منه، بسبب

ما يحويه هذا الكهف، من صناديق، في شكل خزائن، مليئة بأموال تخص صاحب كرسي الحكم، في هذه الإيالة .

وتتكون هذه الخزائن، من ستة صناديق خشبية، محزمة بغلاف من صفائح الحديد، يبلغ طول كل صندوق منها، تسعة أقدام، بينما يبلغ ارتفاعها وعرضها أربعة أقدام، ولكل منها قفلان، من الأقفال الرنانة، التي يصدر منها رنين، عند القيام بفتحها .. أربعة من هذه الصناديق، كانت مملوءة بالقطع الذهبية، من عملة عثمانية، تعرف بالسلطانيات، تتكون من فئة (الباش ياردات) والليرات العصملية، (والماجار) السلطاني، التي لا تتداول بشكل واسع، بين تجار المدينة .. أما الصندوقان الآخران، فهما يحملان مبالغ كبيرة، من العملات الأجنبية الهولندية والاسبانية، في الوقت الذي ترك فيه الآخرين، من التجار وسكان المدينة، التعامل بالنقود الفضية (والنيكل) من المصكوكات المضروبة، من العملات المحلية مثل، المجيدي، والمحبوب، والصاغ، والقرش، وعبر هذه الممرات، كانت تأتي خطوات الداي، وحامل مصباح الإنارة، كل ليلة تاركين ورائهما، أذيال القفاطين المفرسخة، وأصوات الخفافيش، المتوطنة بداخل هذه الكهوف، وتحت ضوء هذا المصباح الخافت، من الفنار، يسير الداي (بالي شاويش) واسمه (محمد البندقي) الأصل، إلى داخل هذا الكهف، ليطمئن على سلامة هذه الصناديق، دونما أحد من غيره، أن يصل ويتملكها لنفسه، وفي آخر المشوار، يموت هذ الداي، ويترك المال للآخرين من بعده، إلى أن أتى دور (إبراهيم داي المصري) ويسميه الأتراك (مصروغلي) الذي قد زادت سمرة وجهه عذوبة، وعلى تقاطيع ملامحه، تظهر بشرة موطنه الأصلي وهي مصر، لولا أنماط القطع، من ملابسه العثمانية، وقد حكم طرابلس الغرب (1675م)، نحو عام من الزمن، وبالرغم من أنه قد قام بعدد من بناء الاستحكامات، خلال فترة حكمه وقد بنى البرج المعروف باسمه (ببرج المصري)، بمنطقة سكره (المنشية)، وكذلك تأسيسه للمسجد المشهور تاريخياً، باسم جامع (إبراهيم داي) بباب البحر، بالقرب من القوس الروماني، عند شارع الأكواش، المعروف اليوم باسم (جامع بن صابر) نسبة لمن تولى إمامة المصلين به .

وفي وقت كانت فيه هذه البلاد، تعيش حياة الفوضى، والصراع على تولي السلطة، من قبل دايات الإنكشارية، بالإشتراك مع أعلاج الدولة العثمانية، لم يكن ذلك خافياًعلى جناب السلطان العثماني، أو عن سكان هذه المدينة، التي تضاعف فيها حجم الفساد والظلم

يوماً، بعد يوم، تحت راية ترفرف على سارية القلعة، رسم عليها ثلاثة (أهلة)، وذراعاً يشهر سيفاً، لكن هذا السيف، ليس له معنى يذكر، بعدما بدأ إبراهيم داي المصري، يشعر بالخوف على حياته، وعلى ماله الذي يخشى أن يكون بعضه، في مهب الريح مثلما مني به أسلافه من قبل، أو لأن يكون عرضه لمؤامرة، يحيكها صديقه القديم، الذي أصبح محل ريبته وهومصطفى داي (غروصو) الكبير الاستانكويلي، فعزم على أمر الرحيل، مع إبنه من امرأته الأولى، ولكنه بدافع الغيرة على زوجته الثانية (اللا قميرة)، إبنة عثمان ريس، قام بتسميمها بسم قاتل، خوفاً من وقوعها بأيدي خصومه، في الوقت الذي تظاهر فيه، بأنه ينوي نفي ابنه، الذي كان يشغل، منصب رئيس المرسى بدعوى أنه سبب له متاعب، وأخطاء ارتكبها مع بحارته، وتأكيداً لإيهام جنده ومعاونية بصدق نواياه، رفض مطالبهم له بالعدول عن هذا الأمر، بالعفو عنه، وفي اليوم الذي عزم فيه تنفيذ خطته للهروب، أخذ يضلل ما حوله منهم، بانشغاله في متابعة أعماله، التي يقوم بها في المرسى، حيث سعى إلى زورق بمجاديف أقله إلى جزيرة صغيرة في البحر، غير آهلة بالسكان، بخارج المرفأ، وقريبة منه، أضافها الإيطاليون إلى الميناء، تعرف (بالقزيرة)، أو جزيرة طرابلس، وهي من طروش الساحل الشمالي للمدينة، أو أرخبيلها، وقد تم فيها قتل كور محمد التركي، من قبل عثمان الريس الشوهلي، عندما ثار عليه سنة 1672م، وقد وصل إليها إبراهيم المصري، بعد أن دفع بابنه، للركوب على متن سفينة متجهة إلى مصر، يقودها (الرايس عمر الميتشو)، وضع على ظهرها صناديق من الامتعة، وجراراًمملوءة من العملات الذهبية، ومن المكان الذي يوجد به، رصيف القره مانليين بالقرب من ضريح سيدي الشعاب، ركب البحر، وفر مع ابنه، بإتجاه ميناء الاسكندرية سنة 1676م .

وبعد هروب هذا الداي، وتخليه عن كرسي الحكم، أتى بعده إبراهيم شلابي أنبلي داي الموراللي، مدير سجن (سان انطونيو)، ثم تلاه العديد من رموز عهد الدايات، إلى أن وصل إلى الحكم، محمد ولد الجن، داياً على طرابلس، وهو من أبناء الجند (كول أوغلي)، وقد جعل معه محمود أبومويس، ليكون خازن دار له، وهومن أصول محلية، وكان ولد الجن من الرجال، الأكفاء الشجعان، الذين أحاطوا بأهالي المدينة وباديتها، فحاز ثقتهم، بحسن معاملته لهم، فرغبت نفسه، أن ينتقل بسكناه للاقامة بداخل القلعة، بعد أن ترك منزله الفاخر الجميل، الذي يقع وسط بساتين المنشية، التي تنام على أوصالها، غلال سكرة،

في حين أن سرادق هذه القلعة، أوهمته بحياة الاستقرار والخلود للراحة، فذهب يغط في نوم عميق، على سرير نومه، بأحد غرف القلعة، وحينئذ انقض عليه خازن داره، محمود أبومويس، في غفلة منه، وقتله على فراشه، ثم جلس هو متربعاً على سدة الحكم، بينما لازال السيف، الذي استخدمه في قتل سيده، يتقطر دماً، ثم ما لبث هو أيضاً، أن ثار عليه أحمد يوسف القره مانلي الكبير، وانتزع منه الحكم بعد انتحاره بداخل أحد غرف القلعة مشنوقاً سنة 1711م .. هذه القلعة، التي لم يتسع شبر من غرفها وباحاتها، إلا وأن غرقت أرضيتها، بدماء الإعدامات، وحوادث الانتحار، من الفارين عن الدنيا، إلى جحيم الآخرة .. ولم يكن باب هوارة، أو باب المنشية، أرحم على الرقاب التي شنقت به، وصلبت جثثها على جدرانه، أو التي نصبت رؤوسها فوق ذروة واجهة دار البارود، سواء تلك الرؤوس التي قطعت فهي قد تكون أنفساً مظلومة، من ضحايا ظلم الدايات، وهم من بين ضباط الانكشارية، المغلقة عقولهم بغطرسة حكام طرابلس، من أمثال تيمور الحداد، والقزدار، والتارزي، والقهوجي، وكور الاعمى، وكارة الأسود، وواق الأبيض، وعلي الفرطاس، وبلوك محمود داي، وربان باشا، وشاويش داي، إلى أخر اللائحة .



الجامع الأعظم من مساجد طرابلس المندثرة

الزمان : الفترة العثمانية الأولى

المكان : قلعة طرابلس

جامع طرابلس الأعظم، بناه بنو عبيد، أثناء فترة حكمهم لطرابلس، وقد اندثر مع أن بقية مساجد المدينة لم تندثر مثله، بالرغم من تعرضها هي لبراثن الاحتلال الاسباني، منذ سنة 1510م، وكذلك فرسان القديس يوحنا سنة 1535م، وكما تذكر المصادر التاريخية، أن جامع طرابلس الأعظم، قد تم إحراقه وتدميره، منذ الساعات الأولى، لبداية هذا الاحتلال، بعد أن شهد آلام أكبر وأبشع مذبحة، لسكان مدينة طرابلس، الذين التجأوا إليه، للاحتماء به إذ كانوا يظنون، أن هذا المحتل، من أصحاب الكتاب، الذين يحترمون الديانات الأخرى، فلا يمسونهم بسوء، بداخل حرم هذا المسجد .

ولكن قائد الحملة الاسبانية (بيترو نافارو)، في وصفه لما قام به، أثناء حملته على طرابلس، أنه كان يرى حوافر خيله، وهي تدوس على جثث الأهالي، المتناثرة في شوارع المدينة، من الذين كانوا آمنين، بداخل منازلهم .

كان جامع طرابلس الأعظم، كما وصفه الرحالة التيجاني، في رحلته التاريخية (706 ـ 708هـ)، بقوله «وهو جامع متسع، على أعمدة مرتفعة، وسقفه حديث التجديد، وبه منار متسع، قائم من الأرض، على أعمدة مستديرة، فلما ثم نصفه سدس، وكان بناؤه في العام المكمل، للسنة الثالثة على يد خليل ابن اسحاق» .

ثم يأتي المؤرخ المشهور، الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، ليقول « وبين باب البحر، والباب الأخضر، جامع مقابل لسور المدينة، قريب منه، وقد نزل به المهدي (المعز لدين الله الفاطمي)، حين مر بطرابلس، في رحلته إلى مصر، وكان نزوله بهذا الجامع، سبباً في شهرته، وإلى جانب هذا الجامع ميضأة « ونفهم من ذلك أن هذا الجامع، قد تم تشييده مقابلاً للسور الشمالي الشرقي للمدينة، أي بين باب البحر والباب الأخضر، المحتمل أن يكون موقعه، أمام مدخل زنقة الريح (زنقة المدرسة)، وفي نفس المصدر يقول هذا المؤرخ « جامع طرابلس الأعظم، من جوامع طرابلس القديمة، بناه بنو عبيد، بين القصبة، والمدرسة المستنصرية (مكانها جنوبي مخزن الرخام) وكان يقوم على عدة أعمدة مستديرة، وتم بنائه على يد خليل بن اسحاق، في آخر سنة 300هـ ويلاحظ ذكر (القصبة)، في تحديد موقع هذا الجامع، ويقصد به هنا (قصر الفلفول)، الذي كان في ذلك الوقت، قائماً عند مدخل ثغر طرابلس (المرسى)، والذي يصفه في ذات المصدر، الشيخ الطاهر الزاوي « بأن مكانه في الشمال الشرقي، من مدينة طرابلس»، كان محلاً لقصر فلفل بن سعيد بن خزرون، الذي كان أميراً على طرابلس وحاكماً عليها، من سنة (400.391 هـ)، حيث توفي في تلك السنة، وفلفل هذا من بني خزرون الزناتيين، وقد طغى البحر، على مكان هذا القصر، ولم يبق منه إلا بعض جدرانه، في وسط الماء، ومازال يطلق عليه اسم فلفول، كما تسميه العامة وهذا، خطأ « الاسم الصحيح فلفل « .

ونخلص من ذلك إلى القول، بأن مكان جامع طرابلس الأعظم، كان بين القصبة، وهي قصر فلفل بن خزرون، والمدرسة المستنصرية، التي تقع جنوبي مخزن الرخام، ويدفعنا إلى تأكيد ذلك، ما أورده شار فيرو، في كتاب الحوليات الليبية، قوله « وفي بقعة كانت تقوم فوقها كنيسة خصصها الفرسان النصارى في الماضي، لبحارة السفن المالطية، على الشاطئ، قام (طور غود)، أولاً بتشييد جامع، وجعل به ضريحاً، كي يدفن فيه جثمانه، بعد وفاته، فوق الأرض المليئة بالخرائب، والتي كان يقوم عليها بالماضي، الجامع الكبير (الأعظم)، الذي أحرقه (بيترو ذي نافارو) سنة 1510م، أمر (طورغود)، بتشييد البناء المعروف باسم، (سراي طورغود)، وإحاطته بحدائق وأكشاك».

رحلة أبوالعباس المرسي من تونس إلى مصر



هو أبو العباس المرسي، واسمه الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن على الخزرجي الانصاري، وكنيته أبو العباس، وتنسب عائلته إلى الصحابي الجليل، سعد بن عبادة الانصاري .

هاجرت عائلته، إلى شبه الجزيرة الخضراء، حيث استقرت، بمدينة مرسية على الساحل الجنوبي، من بلاد الاندلس، ولد بها أبو العباس المرسي سنة 616هـ ـ 1219م، وقد نشأ بها نشأة دينية، حيث أخذ بها مبادئ تعليمه من حفظ للقرآن الكريم، وأخذ مبادئ تعليم القراءة والكتابة، إلى جانب المعرفة بالأعمال التجارية، التي يقوم بها والده وشقيقه الأكبر .

ولكنه في عام 640هـ ـ 1242م، عزم والده التوجه لزيارة الأراضي المقدسة للحج، مع ولديه أبوالعباس، وأبوعبدالله من الجزائر، على ظهر مركب بحري، ولكن هذه المركب جنحت بهم إلى الشاطئ، بفعل الرياح السافيات، بعد إبحارها، وقد نجى من الغرق، من فيها من الركاب، على الساحل التونسي .

وبعد هذا الحادث، آثر والد ابي العباس المرسي، البقاء حيث حط الرحيل به في تونس، وهنالك عمل أبوالعباس المرسي، في تلك الأثناء، على تعليم النشء الخط والكتابة، إلى أن تعرف بشيخه أبي الحسن الشاذلي، الذي كان من أبرز علماء عصره، فاهتم به الأخير خير اهتمام، بعد أن اكتشف به نبوغة، وسرعة بديهته واستقامته، وحسن طباعه فشرفه بصحبته وملازمته، وصار يرافقه أينما ذهب، وفي آخر أيام حياته، صار مثله، في

أن يجمع بين خلافته في حلقات الدروس والمصاهرة، حيث تزوج من ابنته، وخلف منها ابنيه محمد وأحمد .

وفي سنة 642هـ ـ 1244م، غادر الاثنان تونس، مع أبوعبدالله جمال الدين، لتأدية فريضة الحج، وفي طريق العودة، أقام أبو العباس المرسي بمدينة الاسكندرية بمصر، بينما غادرها شيخه أبوالحسن الشاذلي، عائداً إلى تونس، ولكنه ما أن لبث أن عاد، فلحق به مرة أخرى إلى مصر، في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، في عصر الدولة الأيوبية، حيث باشر هو وشيخه، الدعوة في حث الناس، لاتباع تعاليم الاسلام السمحة، بروح من التقوى والزهد والورع، وهما يعقدان حلقات الدروس، ومجالس العلم، حتى انتشر صيتهما، أرجاء مدينتي القاهرة والاسكندرية، مدة 43 سنة تقريباً، إلا أنه في سنة 656 هـ ـ 1258م، قد اعتزم كل منهما القيام بتأدية مناسك الحج، وفي الطريق، عند جنوب أسوان، على ساحل البحر الأحمر، مرض الشيخ أبوالحسن الشاذلي، ووافاه الأجل، بينما حج أبوالعباس المرسي، وعاد إلى الاسكندرية، مواصلاً ما بدأ به في الديار المصرية، من تعلق الناس به، كقطب لزمانه، إلى أن توفي ودفن عند المرسى، بميناء الاسكندرية الشرقي، بدون اضافة أي بناء عليه .. إلى أن قام الشيخ زين الدين القطان، كبير تجار الاسكندرية، ببناء ضريح وقبة عليه، إلى جانب مسجد، أوقف عليه أوقافاً، من ماله الخاص بالاضافة إلى تعيين، خطيب وإمام وقيم عليه .

وقد ظل هذا المسجد، محافظاًعلى طرازه المعماري، إلى قيام الملك فؤاد الأول (ملك مصر)، بإعادة بنائه، في الفترة التي قام فيها، بإنشاء ميدان المساجد بالاسكندرية .

ألم يكن الشيخ أبوالعباس المرسي، أو ما يعرف باسمه، سيد أحمد بن عمر الانصاري المرسي، الشاذلي، المالكي، المرشد، المربي، العارف بالله، قطب الزمان، وارث سر سيدي بالحسن الشاذلي، وخليفته في الصوفية / هو جد العبابسة الموجودين، بمنطقة حامة قابس بتونس، وهم الذين ينسب إليهم، جد عائلة عباس، المقيمة بمدينة طرابلس الغرب، منطقة (السوالم)، سوق الجمعة، التي نزحت إليها، إبان فترة العهد العثماني الثاني (1832 ـ 1911) وكذلك عائلة عباس، المقيمة بمدينة مصراتة .



رحلة سفينة الأصباغ الأرجوانية

المكان : باب البحر

الزمان : العهد القره مانلي

مجموعة من المراكب الشراعية المبحرة، من الاسطول البحري الطرابلسي، بدأت تعبر رأس المول، المطل على ثغر طرابلس، وكانت من ترتيبات هذا الابحار، أن ترافق هذه الرحلة، مجموعة من القوارب الأخرى الصغيرة، ذات التجديف الذاتي، وفي مقدمتها تعبر



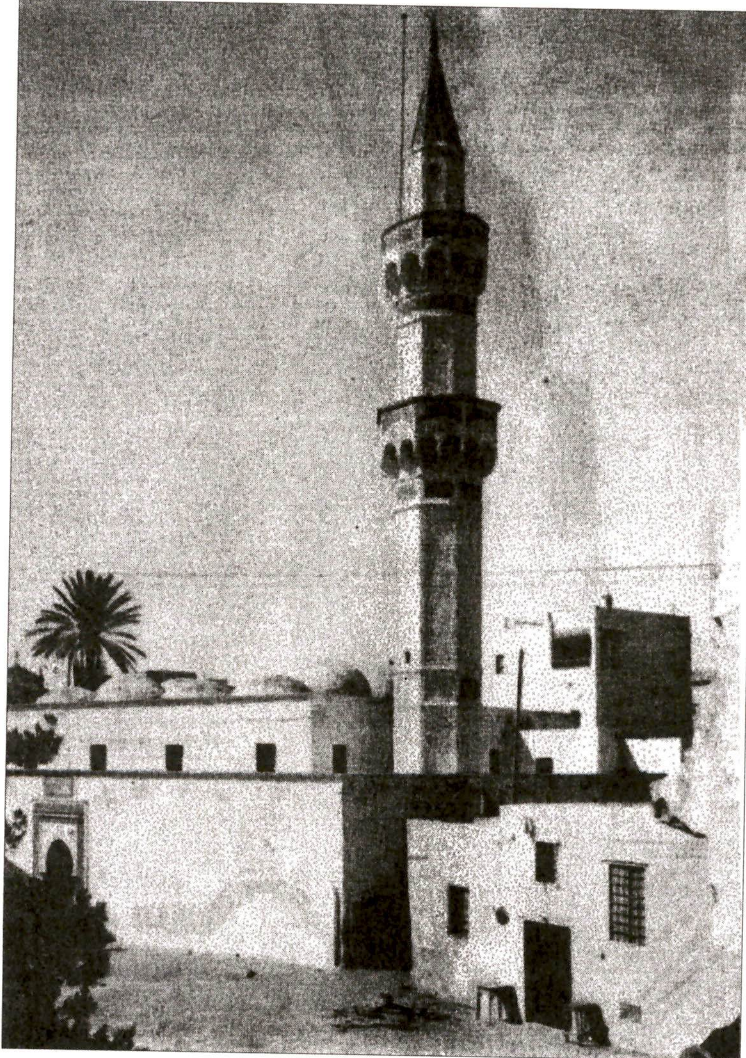
مركب القيادة، تحت إمرة قائد المرسى، مصطفى قورجي وهو صهر الباشا، إذ كان زوجاً لابنته الكبرى، وكان قبل ذلك مملوكاً للباشا يوسف القره مانلي، وهو من أصل جورجي، إلا أن هناك من يقول، أن جد هذه الأسرة يونانياً، ويدعى حسين قورجي، وهو معاصر لفترة حكم علي باشا القره مانلي.

كان اليوم الذي استعد فيه هذا الاسطول الابحار، هو يوم عاصف، تقاسمت فيه الرياح الغربية، والشرقية، على البحر، حتى كادت فيه هذه الرياح، السافية مع أمواج البحر، أن تتصارع، لتجنح بكل قارب، ومركب، وسفينة، تحاول أن تقترب من الشاطئ، وفجأة تظهر سفينة تجارية، تحمل على متنها مواد وبضائع، تتبع لأحدى دول حوض البحر الأبيض المتوسط، مما لم تلتزم دولتها، بتوقيع أي معاهدة مع حكومة طرابلس الغرب، حيث استطاعت، قوة هذا الاسطول، أن تضع يدها، على مقدمة هذه السفينة، في اتجاه موقع الأسر، تحت إرادة أسيادها الجدد، وببلوغ هذه السفينة، إلى مرحلة الاستسلام، لإنزال حمولتها، من الغنائم، التي تكونت من كمية كبيرة، من (البراميل) المملوءة بالأصباغ، المعدة، في شكل تربة ناعمة، تتمثل في مادة (النيلا) الزرقاء ومنها اللون الجنزاري و(الكوشنياليا) الحمراء، ذات اللون العكري، وكافة الألوان الأرجوانية والقرمزية، إلى جانب الألوان البنفسجية المعروفة بالمور، واللون الطرطاري .

وكانت دهشة عمال التفريغ، من أصحاب أزناد « الزندستيف « العاملين على رصف البضائع، وازناد أصحاب « الزندي مور « من ذوات الأزناد، التي تظهر فيها كثافة الوشم، فقد بدأت تظهر على قسمات وجوه، أصحاب هذه الأزندة، علامات الاستغراب، وبقدر هذه الدهشة، من اكتشاف بعض هذه البراميل، كانت مدسوسة بداخلها، كميات كبيرة، من العملات الذهبية، وقد شاع خبر هذه المفاجأة، حتى وصلت اسماع رايس المرسى، (مصطفى قورجي)، وقد حضر على الفور، إلى مخازن الملح، الواقعة بإزاء سور المدينة (الشمالي الشرقي) بالقرب من ضريح سيدي عبدالوهاب القيسي بباب البحر، التي كان يخزن بداخلها، غنائم المرسى، وما أن وطأت قدماه، ووقعت عيناه الزرقاوان، على هذه الكمية الهائلة، من العملات الذهبية، حتى أدمت وجنتيه وأصبحت كالجلنار، فأخذ يمسح بيديه بقايا ماعلق به من ذرات الاصباغ، في حين أصبحت نفسه تخيره، أين سيصرف بعد



ذلك هذا المال، هل ينفقه في عمل الخير أو سينفقه من أجل حاجته في الدنيا، ولكنه في نهاية الأمر استقر به الحال، أن يصرف هذا المال، بين فعل الخير، وقليل منه لمنافعه في الحياة الدنيا، وبالتالي انصرف لإقامة جامع كبير، يخلد أسمه، بمنطقة باب البحر، وأن يبني إلى جانب ذلك، منزلاً جميلاً بداخل هذه المدينة، وعلى الفور أصبح مبنى الطاحونة، الواقعة بالقرب من القوس الروماني، المعروف بمخزن الرخام، والمحلات المجاورة لها موقعاً، مناسباً لإقامة هذا للجامع، فأزاح مبانيها وأصبحت (عرصة صالحة للبناء، بنى عليها جامعاً كبيراً، ومدرسة قرآنية، إلى جانب روضة تركها، لتكون مدفناً لجثمانه، وانتهى من بنيانه سنة 1832م، وقد شارك في بنائه، العديد من اسطاوات البلد، من بينهم الاسطى محمد باباني، ومحمد التونسي، وقد أخذ تصميم هذا الجامع، طرازاً معمارياً، هو في غاية من الجمال والابداع، سواء في تفاصيله، أو في فراغاته، وعناصره المعمارية، ناهيك عن النقوش الزخرفية، التي لعبت دوراً جمالياً، واظهرته تحفة رائعة، تضاهي أكبر مساجد المدينة جمالاً، وقد تم تشييده



على غرار الجامع الكبير، الذي شيده قبل قرن منه، أحمد باشا القره مانلي سنة 1736م، ثم قام بصرف بقية هذا المال، في تشييده لمنزل جميل، بزنقة الكلهان، الخاص بحمام عثمان الساقزلي الكبير، بالزقاق المتفرع، من شارع بئر الشامي / سوق الحرارة، إذ جعله يحمل نفس خصائص المواد التي اضافتها، على بنية وكتلة الجامع، من عناصر قد تمثلت، في العقود والأعمدة المرمرية، والاعمال الخشبية، على السواند، وفي اللوحات الخزفية، على الجدران، إلى جانب الزخارف الجصية، بالحوائط المحيطة بالفناء .



بئر الاسطى ميلاد

المكان : عين زارة

الزمان : فترة الاحتلال الإيطالي

كانت مدينة طرابلس الغرب، بمدينتها القديمة، تعتبر حاضرة البلاد، ووجهها المشرق، وقد تم تقسيمها إدارياً، في العهد العثماني، إلى أربع حومات سكانية، وهى حومة البلدية، وحومة كوشة الصفار، وحومة باب البحر، وحومة غريان، وذكرت حومة أخرى، وهي حومة أولاد نوير، ولكن لم يعرف مكانها بين هذه الحومات، بداخل هذه المدينة، بينما تكونت في خارج أسوارها، قرى وحواري، في المناطق الغربية منها، فقد ظهرت منطقة قرقارش، وغوط الشعال، والغيران، وكانت المناطق التي تليها، يغلب عليها المناخ الصحراوي، حيث

كثر فيها نبات الحلفاء والشعال، بينما المنطقة المنبسطة، التي تلي الأسوار، فهي كانت صالحة، لإقامة المنازل والبيوت الصغيرة، ومن ذلك كانت، محلة بالخير، والظهرة، والشارع الكبير، والنوفليين، وزاوية الدهماني، وشارع الزاوية، وقد ساعد على نمو هذه المناطق، التكامل بين المجمعات السكنية والخدمية، وانتشار بعض البساتين الصغيرة، بمنطقة منشية طرابلس (سكرة)، وساحل المنشية، المعروف بشط الهنشير، ومنطقة الهنشير، ومن منطقة الفرناج، الذي يتوفر فيها أفران الجير، وإلى جوارها الجديّدة ومنطقة الأبيار، التي يظهر منها بئر الاسطى ميلاد، والبئر الشرقي، وبئر العالم، ومنطقة زارة، التي تزخر بها عين فوارة ساخنة، عرفت بعين زارة، كانت أرضها المحيطة بها، ملكاً لشيخ البلد (علي القرقني)، أثناء الفترة العثمانية الثانية .. وزارة كما جاء تعريفها، في كتاب معجم البلدان الليبية، للشيخ الطاهر أحمد الزاوي، أن هذا الاسم، يعود إلى ما نسب إلى اسم بني زارة، وهم بطن من بطون قبيلة خزاعة العربية، ويقال أن أصل كلمة (الزارة)، في اللغة، الشجر الكثيف الملتف، وهذه العين، كان ينمو حولها النباتات الكثيفة، أما حولها من أراضي، فهي تأخذ الشكل الصحراوي، بعشبها ونباتاتها، التي يغلب عليها السبط، والسدر، والعوسج، وأهلها يعيشون حياة الترحال والتنقل، أينما وجد العشب المخضر واليابس للمراعي، وفي وقت من الأوقات، حاول أحد أهالي هذه المنطقة، أن يغير مسلك حياته، من راعي للأغنام والماشية، إلى مزارع يحرث الأرض ويسقيها، وبالتالي وجد أنه لا مناص، من حفر بئر ماء، ولكن عندما حاول أن يحفر هذا البئر، تكللت محاولته بالفشل التام، نتيجة لأن هذه البقعة، ماؤها غور، وتكررت هذه المحاولات ولكن دون جدوى، ولم يجد أحدهم بدأً، من أن يقوم بالبحث، عن خبير لديه معرفة خاصة، بهذا النوع من الحفر، ثم اهتدى في آخر الأمر، إلى رجل برع في حفر هذه الآبار اسمه (اسطى ميلاد) وكان هذا الأسطى، من سكان منطقة عين زارة، يسكن بداخل مزرعته الخاصة، وما أن وصل الباحث، عن هذا الاسطى، إلى بوابة السانية، حتى أذن له بالدخول، وكان الاسطى ميلاد، وقتها يقضي وقت ظهيرته، تحت شجرة الزيتون، مستلقياً على حصير، من السمار، وإلى جانبه البرادة، وهي قلة من الفخار، يبلل ريقه من مائها البارد، وكانت حرارة الجو المحرقة، معها لا تسمح للعطش، أن يأخذ مكانه، بين لهفة الجالسين، حول كانون العافية، ريثما يتم تحضير شراب الشاي، بداخل (برّاد الشاهي) .

كان الاسطى ميلاد، رجلاً قد بدت عليه سن الكهولة، وبياض شواربه ولحيته، تكاد أن تخفي تماماً طراوة وجهه، كان الاسطى ميلاد، من اصحاب القامة المتوسطة (مربوع القد) يتحزم بقشطة منسوجة، من الصوف المصبوغة باللون الأحمر، المعروفة (بالشملة) وكأنما



هو يقنعك أنه، لازال يتمتع بحيوية فائقة، جعلته يقبل ما قد عرضه القادم إليه، وبدون تردد منه، أو صعوبة، ركب على بغلته، ممتطياً بردعته القديمة، وهو يتجه بها نحو مكان حفر البئر، وفي غضون ذلك، مد يده إلى شجرة التوت، وانتقى منها غصناً مستقيماً، ووضع نصف مسافة طرفيه، على اصبعه السبابة، ثم اتجه إلى ناحية الشرق، يسير على هدى خطوات، ليست بالقليلة، إلى أن توقفت قدماه، عندما شعرأن هذا الغصن، يدله على المكان المناسب، لحفر البئر، وعلى أثر ذلك، استطاعت المعاول، أن تحفر عدداً من القامات، حتى أصبح كل إناء منه، بما لديه من الماء العذب ينضح .



سكرة المنشية

المكان : المنشية

الزمان : فترة الخمسينات من القرن المنصرم

غاب صديقنا أحمد، عن رحب الوسعاية، التي كانت تجمعنا كل مساء، ولكنه عاد صديقنا هذا إلينا بعد انقضاء يومين، وعلمنا أنه كان في زيارة، إلى سانية جده (بسكرة المنشية)، وبدأ أحمد يصف لنا برتابة، جمال هذه السانية المتميزة، بزخم ثمارها، إلى جانب تنوع الورود والفل والقرنفل والياسمين بها، حتى أصبح لنا منا له رغبة ملحة إلى مشاهدتها وألحينا عليه وأن يستعد لمصاحبتنا إليها .

بيد إني لم أكن أتوقع، في ذات يوم، أن أبارح في قيلولة مشمسة، أن أرى وأعيش أجمل رحلة ربيعية هادئة، تتم على عجلة (كاليس) للنزهة إلى سواني المنشية، وفي غمرة

هذه المفاجأة، انطلق بنا هذا(الكاليس) إلى (شارع الجرابة) الذي بدت تظهر فيه بعض الحوانيت والدكاكين المتناثرة، على الجانبين، وهي من بقايا محلات (النول)، التي كانت تنتج أردية القطن النسائية، من أنواع السعيداني، والنذيري، والمختم، والبوشيّة، مما كان يحيكها النوالون، الذي أتى بهم درغوث باشا، أثناء حكمه طرابلس الغرب «1553م» من جزيرة جربة، لتنشيط حركة الصناعات، وإنحرف بها، وعبر الطريق الترابي الملئ بالرمال، والخالي من وجود الحصى (الزلط)، يمتد بنا هذا الطريق، المترامي الأطراف، باتجاه (كوشة الرملة)، وعبر طريق ملئ بالزلط، باتجاه الناحية الشرقية، يظهر (شارع الظل) الذي تحيط ببساتينه الحواجز الترابية (الطابية)، ونبات التين الشوكي، المعروف (بالهندي)، وكأنما لو كانت حصوناً أو أسواراً لها، وكانت هذه البساتين تظللها من الجانبين، أشجار التوت والحمضيات والكروم، وفواكه التين والرمان، وبعض أشجار الزيتون، والنخيل الذي يكون بعضه، مغروساً بأفنية البيوت، وصلت بنا هذه العربة المجرورة أمام بوابة السانية، التي يسدها باب (خوخة) خشبي، يبرز منه حلقتان معدنيتان، وعندما تم فتح هذا الباب، ودخلنا إلى وسط هذه السانية، وجدنا البئر، والجابية، والميدة، والساروت، يرقرق منه الماء المتدفق من الميدة إلى الجابية، ومن عين الجابية يتدفق هذا الماء، إلى (الفحل) الممتد إلى سواقي الجداول، المغروسة بأصناف الخضروات، من الخس، والكرنب، والقرنبيط، والفجل، والجزر، وبسرعة نزلت من الكاليس، مهرولاً نحو رقرقة الماء، لأغمر فيه أقدامي، المتأثرة بحرارة الجو، وبينما كنت جالساً، أنعم بروية هذه اللوحة الخيالية، التي رسمتها أيدي الطبيعة، فهذه عيناي تنظر، إلى أوكار (الزرازير)، وعشائشها منتشرة بين هنا، وهناك تداعب بمناقيرها رقرقة الماء، بشقشقة وتغاريد شجية، تزفها زرازير الحمراية، والقصب، وأبوشعيّرة، والفقاقي، وأبوسيقان، بينما كانت



الخطيفة، تطير بأجنحتها، وهي تسابق تحرك الرياح، نحو جرارة البئر، (والكريوة) في ملحمة تشابكت فيها أيدي الطبيعة، وهي في عرس حافل، ارتدت فيه هذه الطبيعة، حلل من نوار البقرعون والاقحوان، وأزهار الربيع الأخرى، وأمام هذه اللوحة الرائعة، وجدت نفسي مستسلماً أسيراً، لكل ما في هذه الخمائل، من سحر لكني لم استطع مقاومة هذا السحر، إلا أن اتنشق عبير الفل، والياسمين، والنسرين، الذي بدأ يتسلل حولي، بين مفاتن الرياحين، والورد، والقرنفل، بألوانه الزاهية .

وفي غمرة هذا الخيال، وجدت نفسي، مفعماً بفرحة خالتي مناني، التي جاءت تمسك بيدها قارورة الزهر المقطر، وهي ترش بها قمة رأسي وجبهتي .. وفي هذه اللحظة، قمت بتقديم شكري وتقديري لهذه المرأة، التي قضت أكمل عمرها، في سبيل إعمار هذه (السانية)، وبدون مقدمات، توجهت إليها بأسئلتي الفضولية، التي لم تجب عن شيئ منها، سوى الإشارة بأصبعها السبابة، إلى زوجها الذي يمسك بيديه (المعزقة) أو المسحة، وهو يعزق الأرض، بمكان قصي، عند سطر الرمان، كي يجيبني عما طلبت منها، وبسرعة هرولت إليه، حتى استطيع ان آتي منه بمعلومات، أرى أنها في غاية من الأهمية بمكان، وبدون أن أدري، وجدت نفسي أكتبها، على أوراق السفرجل، والعنابي، والليم المسكي البلدي، وعلى أوراق شجيرة الحنة، التي تفوح من أزهارها، كذلك كانت رائحة التاريخ، وشذوات قطرات الندى .



مراد آغا يكسب ثروة الذهب والفضة



المكان : تاجوراء

الزمان : العهد العثماني الأول

في ركن فسيح، من القصر السلطاني، في الآستانة، عاصمة الخلافة العثمانية، يوجد ديوان التشريفات مطلاً، على جانب كبير، من ساحل البحر الأسود، بعدة من النوافذ، التي تنسدل عليها ستائر، من القطيفة والساتان، ويظهر من بين هذه الستائر، (كرسي عرش السلطان) وهو عبارة عن أريكة، من خشب الشكريك المذهب، والمبطن بمنسوج القطيفة المخملية الفاخرة، المخلبة بتطريزات خيوط الفضة والحرير، وعلى هذه الأريكة كان يجلس جناب السلطان، سليمان الثاني سنة 1532م، بلباسه الفضفاض، المتكون من القفطان المفرسخ الأكمام، الذي يرتديه تحت ثوب الكاتفة، برقبة من الفرو الناعم، ومن حوله يجلس الوزراء ورجال السلطة والحاشية، وحاجب السلطان، وصدره الأعظم (رستم باشا)، بعمامته الملفوفة حول رأسه، متباهياً بها بين سيده، وجمعه الكبير، ولعل ما شغل بال السلطان العثماني، في هذا اليوم، ما نقله إليه وفد أهالي طرابلس الغرب، من صورة سيئة للواقع المرير، الذي تعيشه البلاد، في ظل حكم فرسان مالطا، طمعاً في أن يأمر السلطان، بتخليص وطنهم، وأن يثمر هذا اللقاء، بما وجدوه لديه من حسن القبول، كان من بين هذا الجمع، علجاً مهذباً من أعلاج الدولة العثمانية، اسمه (مراد آغا)، من مواليد جزيرة راجوزا الإيطالية، أسره العثمانيون على ظهر سفينة، كان يعمل بها بحارًا، وهو في صباه، وكان وسيماً وجميل الطلعة، مما حدا بسيده أن يقدمه (لزوليمان)، محضية

السلطان سليم الأول، الذي عشقته ورغبت أن يكون بقربها غلاماً مثله، يرضي نزوات تلك المرأة، حيث أجريت له عملية إخصاء، لكي لا يحرم من دخول بيوت الحريم، وبعد مضي ستة أعوام، عاشها مراد آغا، بين أروقة الحريم، ماتت (زوليمان) وآلت إليه ثروة سيدته من مال وصياغة، وأصبح بعدها حراً، يتمتع بثروتها الطائلة، وعندها انصرف إلى حياة العمل البحري، أصبح قائداً مغامراً لأحد سفن الأسطول العثماني ولحسن طالع (مراد آغا)، أن يكلفه سيده السلطان، بالتوجه إلى طرابلس الغرب، على رأس حملة عسكرية، وكان ساحل تاجوراء محط أنظار (خير الدين باربروسا)، الذي ساعد (مراد آغا)، على انزال حملته بها دون أن يكون (خيرالدين كرمان)، الذي نصب نفسه قبل ذلك، ملكاً على تاجوراء، على علم بوصوله، وعلى بعد مسافة لابأس بها، من شاطئ البحر بتاجوراء، بنى مراد آغا، قلعته المشهورة، بين غابات النخيل الكثيفة، ولكي تكون هذه القلعة حصينة، قام بتخصيص مساحة مستطيلة الشكل، من البناء، وحفر بها بئراً من الماء العذب، الصالح للشرب، ثم أحاطها بشرفات، تربط بممرات خشبية، تسمح للمدافعين عنها، بالقيام بالرقابة، ودفع أي عدوان خارجي عليها .

وبقوة قوامها (112) سفينة كبيرة، واثنان وخمسين، من المراكب الخفيفة، يحمل على متنها 12 الف، من عناصر الجيش الإنكشاري، والمحاربين، والصناع، وستمائة فارس بالخيول، وأمام هذه القوة الضخمة، ترك فرسان (القديس يوحنا) مواقعهم المتقدمة، على حصون وأبراج القلعة، تاركين أشلاء الجثث، والعديد من الرايات المتساقطة، بأروقة القلعة، فارين بجلودهم، نحو بعض المراكب الراسية، ملتجئين إليها في فزع شديد، علها تنجيهم من الأسر، كما لقي بعضهم، في قبضة الأسر، من المحاربين والرهبان، ومن الأطفال والنساء، الذين اقتيدوا إلى سجون القلعة، مكبلين بالأصفاد .

وفي غمرة ذلك، يدخل الفاتحون، من أوسع أبواب المدينة، وسط تهليل وتكبير الأهالي، الذين تمت فرحتهم، بطرد فرسان القديس يوحنا، وانتصار الراية، التي جاءت لتحمي ديار العالم الإسلامي، في الشمال الإفريقي آنذاك، وفي ساحة القلعة، بالقرب من رحبة طرابلس، وبين يدي باب هوارة، ينصب (سنان باشا) ابن جلدته، مراد آغا، ليكون حاكماً على طرابلس الغرب، وكان هذا التنصيب، لم يرضي (درغوث ريس باشا) حيث يرى أنه أحق منه، ناهيك عن كبر سن مراد آغا فأثر أن يترك ذلك جانباً، إلى أن يقابل صديقه



القديم، (رستم باشا) الصدر الأعظم، الذي لبى له رغبته، وقام بعزل (مراد آغا) سنة 1553م، وتنصيب (درغوث ريس باشا) بديلاً عنه في حكم إيالة طرابلس الغرب، تلقى (مراد آغا) هذا الخبر، بكل رحابة صدر، وسار إلى بلده تاجوراء، ليقضي ما تبقى من عمره، معتكفاً متعبداً، بعد أن عزم على تحويل القلعة الحصينة، التي بناها بتاجوراء، إلى جامع ومدرسة دينية، وقد وعد أسراه، بإطلاق سراحهم أثر استكمال بناء هذا الجامع، وقد بلغ عددهم 300 أسير .

يتكون هذا الجامع، من كتلة معمارية، تحمل فراغاً، يتكون منه، بيت الصلاة، وهذا الفراغ، هو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل، مغطاة بأسقف قبوية محملة، على عدد (48) عمود أثري، ويعلو هذه الأعمدة، تيجان أثرية، من مدينة لبدة، وترتكز على هذه الأعمدة والتيجان، العديد من العقود، التي تأخذ شكل حدوة الفرس، وفي منتصف جدار القبلة، يوجد المحراب، وهو عبارة عن تجويف، ينتهي بعقد، يأخذ شكل حدوة الفرس، وقد كان هذا المحراب، في الأصل، خالياً من الزخارف، كبقية أجزاء كتلته المعمارية، ولكن بعد الترميمات المتأخرة، التي أجريت عليه، كسيت كتلته وتجويفه، بالمرمر والنقوش الجصية، وعلى جانبي هذا المحراب، تم اعداد أربع عشرة خزانة، غائرة بجدار القبلة، وربما كان الغرض من استعمال هذه الخزائن، قد تم في وقت سابق، لتخزين الكتب والألواح، أو غيرها من المستلزمات الخاصة بهذا الجامع، وإلى جانب المحراب يوجد سلم مدرج، تمتد على شرفات خشبية ضيقة، تمتد على جانبي قاعة الصلاة، وربما تكون هذه الشرفات المرتفعة، على مستوى النوافذ، ممرات تخدم حاجة الحصن القديم، وفي منتصف هذه القاعة، يوجد أيضاً، بئر جوفي، وبالقرب منه حوض رخامي، مستدير الشكل، وكان وجوده في هذا الموضع، من دواعي



حاجة هذه القلعة، لمصادر المياه، أما المئذنة فقد تم تشييدها، في موضع قريب من بيت الصلاة، وقد صممت على هيئة برج، يبدأ من القاعدة الرباعية منه، في الانتقاص إلى أعلى هذه المئذنة، بحيث تنتهي بحجرة، تغطيها قبيبة صغيرة، ولكن جسم هذه المئذنة، قد تمت إزالته سنة 1901م، حيث تم بعدئذ تجديده، على شكل يقترب من طابعه المعماري القديم، وبالقرب من هذه المئذنة، يوجد ضريح مشيد، على هيئة أضرحة الأولياء، ويطل هذا الضريح، على فناء الجامع، وبه قبر يضم رفاة (مراد آغا) وقد دفن سنة 1559م .

درغوث ولي
يلقي عصاة الراعي ويمسك المجذاف

الزمان : العهد العثماني الأول

المكان : طرابلس الغرب


طورغود

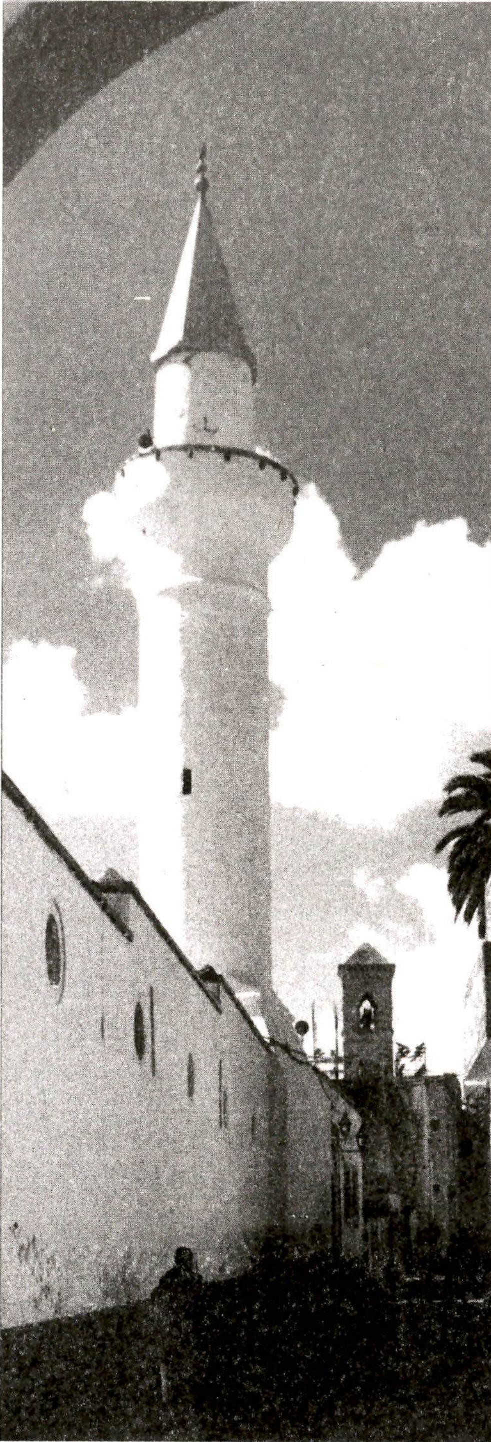
كـان درغـوث بـاشـا، كما يعرفه التـاريـخ، ولا يختلف على اسمه اثنان، (طورغود ريّس باشا)، كـان أبـوه واسـمـه (ولـي)، راعـيـاً مـن رعـاة الغنم والماشية، بمنطقة سرولوز، الممتدة على سفوح جبال الأناضول بآسيا الصغرى، يرعى مع أبيه الغنم والـمـاعـز، يشرب مـن ألبانها، ويلبس من أصوافها، أثناء فصل الشتاء القارص، وبقدر عدد لفات عمامته التي كان يلبسها، وهـو يهش على غنمه، تحول ليعمل بحاراً، على ظهر إحدى السفن التجارية التركية، ببحر الدردنيل، ثم صار رباناً لها، بسبب ما كان يمتلكه، من ملكة الفطنة والذكاء المفرط، منذ صغره، ولكنه ما لبث أن عمل على حسابه الخاص، على ظهر مركب صغير، استعمله في عمليات السيطرة البحرية، بغرب وجنوب البحر الأبيض المتوسط، وفي إحدى هذه العمليات، تم أسره مع مركبه الخاص به، سنة 1531م، حيث سخر في أعمال التجديف، لمدة ثلاث سنوات، جعلته يدفع من فاتورة حياته، ثمناً غالياً، في تجربة لم تثنيه، عن غايته، وفي وقت وزمن غير قصير، جاء منقذه (خيرالدين باربروسا)، وكما ويسمونه بصاحب (اللحية الحمراء) واسمه الحقيقي (خزر)، من مواليد جزيرة (مدلي)، ليخلصه

من هذا الأسر، وما إن كادت ترجع إليه روح الحياة، من جديد، حتى ركب معه البحر، وأصبح تلميذاً له دون منازع، يشاركه بطولاته ومغامراته البحرية، وقد بلغت به الشهرة، إلى أن أصبح من أبرز قادة الأسطول العثماني، وبعد أن توفى (خيرالدين باربروسا)، أصبح هو خليفة له .. كلفه السلطان العثماني، بمرافقه الأسطول العثماني، تحت قيادة سنان باشا، الذي كان علجاً ايطالياً، من بلدة ميلانو، لمهاجمة سواحل جنوب إيطاليا، وقد كان اسم (درغوث) في ذلك الوقت، مرعباً ومخيفاً، لدى الكبار والصغار، من سكان موانيها، بسبب ما تركه هذا الريس، من شجاعة، على إيقاع ضرباته الموجعة نحوها، وعمره لم يتجاوز الثامنة والأربعين سنة، هاجم مدينة كاتانيا لاحتلالها، ثم توجه إلى (أغوستا) وأضرم النار فيها، ثم توجه إلى جزيرة مالطا، وبدأ في محاصرتها، ولكنه تحول عنها لصعوبة تحصيناتها، واحتل جزيرة قوزو، ولم يجد صعوبة في أسر سبعة الاف نسمة، كانوا بها، حيث أقلع بهم نحو ساحل تاجوراء، قبل أن يطرد فرسان مالطا ،عن أسوار مدينة طرابلس الغرب سنة 1551م، كان درغوث باشا قد أحب مدينة طرابلس الغرب، قبل أن يراها وهي لازالت ترزخ تحت نير الاحتلال، من قبل فرسان مالطا، متزينة بغابات نخيلها، الممتدة على ساحلها الطويل .

وما أن تلقى درغوث باشا، ومعه سنان باشا، أوامر السلطان العثماني بتحرير طرابلس الغرب، في مستهل عام 1551م، حتى أدار إليها كل منهما، رأس مركبه، نحو مقر آخر حاكم، من حكام فرسان القديس يوحنا، كان يجلس على عرش طرابلس، ليقول له :

يا حافر حفرة السو رأسك مغلاقها

ولم يجد الفاتحون، من رجال السلطنة العثمانية، مقاومة من الفرسان لهم، ذلك أنهم دخلوا المدينة، من جميع أبوابها البرية والبحرية، فمن جهة الشرق، تدخل كوكبة من الفرسان إلى المدينة، وعلى رأسها (مراد آغا)، بكل ما أودع فيه الزمان، من دهاء وحنكة، وعلى الناحية الساحلية، عند سلسلة جزر المرفأ، ينزل درغوث وسنان باشا، مع لفيف من عسكر البحرية العثمانية، الذين تجمهروا في احتفال بهذا النصر، أمام القلعة قام على أثرها سنان باشا، بتنصيب (مراد آغا)، ليكون والياً على إيالة طرابلس الغرب، وقد كان هذا الاختيار، قد نال على الفور رضاء واستحسان، كل الحاضرين، ما عدا (درغوث ريس)



الذي أخفى عدم ارتياحه لهذا التنصيب، لانه يرى نفسه أحق منه، بمثل هذا المنصب، غادر درغوث طرابلس الغرب، متوجهاً إلى الباب العالي، في الاستانة، لمقابلة صاحبه القديم، الصدر الأعظم، لمؤازرته في السعي إلى جناب السلطان العثماني، ليصدر له فرماناً همايونيا، يقضي بتعيينه والياً لمدى الحياة، على إيالة طرابلس الغرب، مكان (مراد آغا)، الذي بلغ من العمرعتياً، وأخذ يعاني الشيخوخة، وفي سنة 1553م، عزل (مراد آغا) عن منصبه، وتولى (درغوث ريس باشا) مكانه، والياً لمدى الحياة، فيما عاد (مراد) إلى تاجوراء، وعكف يعيش حياة سعيدة، بداخل قلعته، التي عقد العزم على تحويلها، إلى مسجد كبير، بعد أن وعد أسراه، بإطلاق سراحهم، إن هم عملوا على استكماله، وفي سنة 1556م قام (درغوث ريس باشا) يناصرة القوة البحرية العثمانية، المحاصرة لجزيرة مالطا لاحتلالها، وعندما وصل على رأس أسطوله البحري، وجد أن الخطة الحربية، التي وضعت من قبل قائد العمليات، بها قصور من الناحية العسكرية، فقام بإصلاح ذات البين، إلا أنه أصابته قذيفة، أثناء قيامه بالتنقل بين قطع أسطوله، الذي كان يحاصر إحدى قلاع الجزيرة القوية، وقد تسببت له هذه القذيفة، جرحاً بالغاً وعميقاً، في موضع جبهته، فارق على إثرها

الحياة، وتنفيذاً لوصية له، فقد تم على أثرها، نقل جثمانه إلى مدينة طرابلس الغرب، التي احتضنت ضريحه، بداخل الجامع الذي حمل اسمه، بمنطقة باب البحر، بالقرب من قصره، الذي بناه بين جناحي، مبنى القنصلية الانجليزية (حوش القره مانلي) بشارع الأكواش، والقنصلية الفرنسية، بالقرب من القوس الروماني (ماركوس واوربليوس)، ويقال إن هذا القصر، قد ألحق به العديد من الحدائق، والأكشاك، والدور السكنية، والمطابخ، والإسطبلات الخاصة بالخيول ..

وقد تأثرت معالم هذا القصر ،قبفعل الاضطرابات والانتفاضات، من آثار القصف القوي، الذي تعرض لها، خصوصاً كالذي دار من قصف مدفعي، بين مصطفى الشريف داي (المراكشي)، الذي كان يقيم فيه، وبين قاسم باشا سنة 1631م .

قام (درغوث باشا) خلال سنوات حكمه، بعدد من الأعمال الدفاعية، ومنها تجديد الحصن الاسباني، وتأسيس دار البارود، وترميم أسوار المدينة وتحصيناتها .

فحيـج

المكان : بلدة ترهونة

الزمان : فترة الانتداب البريطاني



تعتبر مرتفعات ترهونة، بداية لسلسلة جبال الأطلس، الممتدة من ليبيا، إلى بلاد المغرب العربي، وعلى هذه المرتفعات، تقع بلدة ترهونة، وهي تضم أرباع وبطون وقبائل عربية، يعمل سكانها شبه الرحل، بأعمال الرعي، والباقون منهم، بالعمل الزراعي المحدود.

وكان نظام الحكم السائد، في هذه المنطقة، هو النظام القبلي، في إطار قضاء محلي، من الدرجة الأولى، حتى سنة 1883م، كان شيخ القبيلة، يمارس وقتها سلطته، على طريقته الخاصة، وحسب أهوائه، بأسلوب بسيط، يتبع فيه ظلمه أحياناً، ليرضي نزواته، ونزوات غيره، من أدوات الحكم، التي يتبعها، دون مراعاة لحقوق أهاليه، من المستضعفين في الأرض .. وكان من بين هؤلاء، علي عمر الفرجاني (فحيج)، من منطقة الفرجان، أولاد مسلم، كان يعمل في الرعي، يسوق غنمه، بين أحراش هذه المنطقة، يحقق سبل عيشه، تحت ظلال شجيرات العوسج تارة، وشجيرات الطلح والسدر، تارة أخرى، يهش على قطيع غنمه بعصاة رقيقة، من الزيتون، وفي أخرى يداعب كلبه، كلما وجد فرصة من وقته، بينما كانت عصاته وهي (اللقاحة المعكوفة)، يسخرها في قتل الزواحف الخطرة، التي قد تصادف طريقه، وتكاد هذه (اللقاحة)، أن يتجاوزطولها، أقل من طول قامته القصيرة، التي يلفها بأطراف عباءته السوداء، ذات التسعة أذرع .



كان اتساع رقعة بساط الرعي، التي يعيش بين أحضانها، تعكس عليه أبعاد، ما تحمله حريته، وذلك من أن يدفع بها، إلى الخضوع أمام الظلم أو العسف، وفي يوم من الأيام، يقف نفر من رجال السلطة، يحملون أمراً بالقبض عليه، والتحقيق معه، في تهمة لم يقم هو بها، ولم ينته الأمر إلى هذا الحد، بل تجاوز ذلك، بمحاولة ربطه بذيل أحد الخيول،المصاحبة لهم، وعندها انقض (فحيج)، على أحد هؤلاء، انقضاض الوحش على الفريسة، وجرد منه سلاحه، وهي البندقية التي كانت معه، وأرداه بها قتيلاً، وبدأت ساعة الصفر، لتكون الشعاب من حوله، مشهد عصيانه، على السلطة، التي يمثلها شيخ القبيلة، واستطاع من خلال الوديان المتشعبة، والتلال المنتشرة، دروع مانعة، ضد من يريد الايقاع به، وبنفس السلاح الذي يغتنمه، حتى صار من أجود الهدافين، وأمهر قناص يجيد التصويب، من سداد بندقيته، نحو الهدف بدقة متناهية ،عند موضع يقال لها (شماسة) الجبهة، وتمر به الأيام، والأشهر، والسنوات، دون نجاح المحاولات الجارية للقبض عليه، حياً أو ميتاً، وكان الزمن كفيلاً، برسم هالة مبالغ فيها، من القصص والحكايات، التي تنسج حوله، حتى كادت شعاب ووديان، ومسالك الطرق، ان تمتلئ بهواجس الفناء، لمن يجرء أن يدلي بأي معلومة، تدل على مكان تمركزه، وباءت محاولات قوة الانتداب البريطاني، المصاحبة لرجال الدرك والبوليس، بالفشل الذريع، في ملاحقة هذا الرجل البسيط، للخلاص منه، بتصفيته جسدياً، بين هذه المرتفعات والأحراش ،التي أصبحت ملاذاً له، يصعب معها مطاردته للنيل منه .

ولكن عقارب الساعة، توقفت بمرتفع (النقيزة)، في يوم من الأيام، لتكتشف إحدى الدوريات، مكان المغارة، التي اختبأ فيها (فحيج) مع إبنته، التي كانت تمده بخزائن الذخيرة، كلما تبادل إطلاق النار، بين (فحيج) والدوريات، التي كانت تلاحقه ،المدججة بالسلاح، من عساكر بريطانية مرابطة، بمدينة طرابلس الغرب، وقوة رجال البوليس، من الدرك المحلي، المحمول على عربات الجيش الإنجليزي، وعلى حين غرة، تسقط البندقية، من يد (فحيج)، بعد أن أصيب بطلقة طائشة، صوبها إليه أحد الجنود، التابعين لقوة البوليس، وكانت هذه الإصابة بالغة الأثر، في جسده فارق على أثرها الحياة .

وبعد موت هذا الرجل، نقل جثمانه، إلى أحد أقسام مستشفى طرابلس المركزي، وسجي فوق أحد بسطات دار الموتى، لمدة يومين، لكي يترك جانباً لمشاهدته، من قبل أهالي طرابلس، قبل القيام بدفنه، بمقبرة سيدي على الهاني، بطرابلس الغرب، وكان ذلك حوالي سنة 1949م .



المصادر

1- موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا : مصلحة الآثار .

2- رحلة التيجاني – طرابلس : دار الفرجاني .

3- توللي، ريتشارد . عشرة أعوام في بلاط طرابلس (1783-1793م)، ريتشارد توللي، ترجمة عبد الجليل الطاهر . بنغازي : الجامعة الليبية، 1967 م .

4- حسن الفقيه حسن.اليوميات الليبية ،(1958-1248) هجري/ (1551-1832). حسن الفقيه حسن، تحقيق محمد الأسطى، عمار جحيدر، تقديم علي الفقيه حسن - طرابلس : مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1984 .

5- أغسطيني . سكان ليبيا / تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي – طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1968 .

6- تود، مابل لوس – أسرارطرابلس / مايل لوس . – طرابلس : مكتبة الفرجاني، 1968 .

7- الـزاوي، طاهر أحمد . معجم البلدان الليبية / الطاهر أحمد الزاوي . – طرابلس : منشورات دار مكتبة النور، ط1/1968 .

8- فيرو، شارل، الحوليات الليبية / شارل فيرو، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، - طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1982 .

9- روسي، أيتوري . طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطة / أيتوري روسي، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي .

10- النائب، أحمد . المنهل العذب تاريخ طرابلس الغرب / أحمد النائب، إشراف طاهر أحمد الزاوي.– القاهرة : مطبعة الاستقامة ط:- 1971 (الجزء الثاني).

11- أعداد جريدة طرابلس القديمة – السنة الثانية (1988) التي يصدرها مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة، بمناسبة إقامة التظاهرة الثقافية خلال شهر رمضان بمدينة طرابلس القديمة.



12 ناجي، محمد . طرابس الغرب / محمد ناجي، ترجمة أكمل الدين محمد أحسان . – طرابلس : دار مكتبة الفكر 1973 .

13 كوجري، جوناثان. يوميات الطبيب جوناثان كودري – جوناثان كودري ، ترجمة وتعليق د. عبد الكريم أبو شويرت . طرابلس : مركز دراية جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1982 .

14-روسي أنطوني . ليبيامنذ الفتح العربي حتى سنة 1911 م – ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي . طرابلس : الدار العربية للكتاب .

15-عبد السلام بن عثمان : الإشادات / مكتب النجاح (ب.ت).

الصور الثابتة منسوخة :

- أرشيف مصلحة الآثار .
- أرشيف دار النائب الأنصاري للتوثيق والمعلومات .
- جهاز المدن التاريخية .
- كتاب تاريخنا رقم -5- .



